الخميس 16 نيسان 2020
العدد 4029 السنة الرابعة عشرة
Jeudi 16 Avril 2020 no 4029 14ème année

20 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

أصعب أزمة
في تاريخ «أونروا»
16

سوريا: «كورونا» يدعم
وقف إطلاق النار
16

الصين وأوروبا:
صراع على أفريقيا
16

لبنان والسيادة الغذائية: القمح والفاصولياء أبقى من اللحم والدولار [4]

«شبه إجماع» على التمديد لشركتَي الخلوي [2]

إصابات كورونا ترتفع
الزيادة «مبرّرة»!

- لجان الأهل لدفع 50% من الأقساط المدرسية
- أميركا نحو السماح للضحايا بمقاضاة الصين؟
- البنتاغون حذّر في 2017 من وباء ونقص المعدات

[6 ـ 15]

(هيثم الموسوي)

قضية اليوم

حواط ليس وحيداً: «شبه إجماع» على التمديد لشركتَي الخلوي

ربحت «أوراسكوم» و«زين» جولة جديدة في السوق اللبنانية. استفادت من «كورونا»، الذي شكّل الستار الأنسب لتمرير قرار مُخالف للقانون، بمُباركة معظم الكتل والأحزاب الفاعلة. فالغطاء السياسي تأمّن لتوقيع عقد جديد مع الشركتين، مع تغيير في بعض البنود

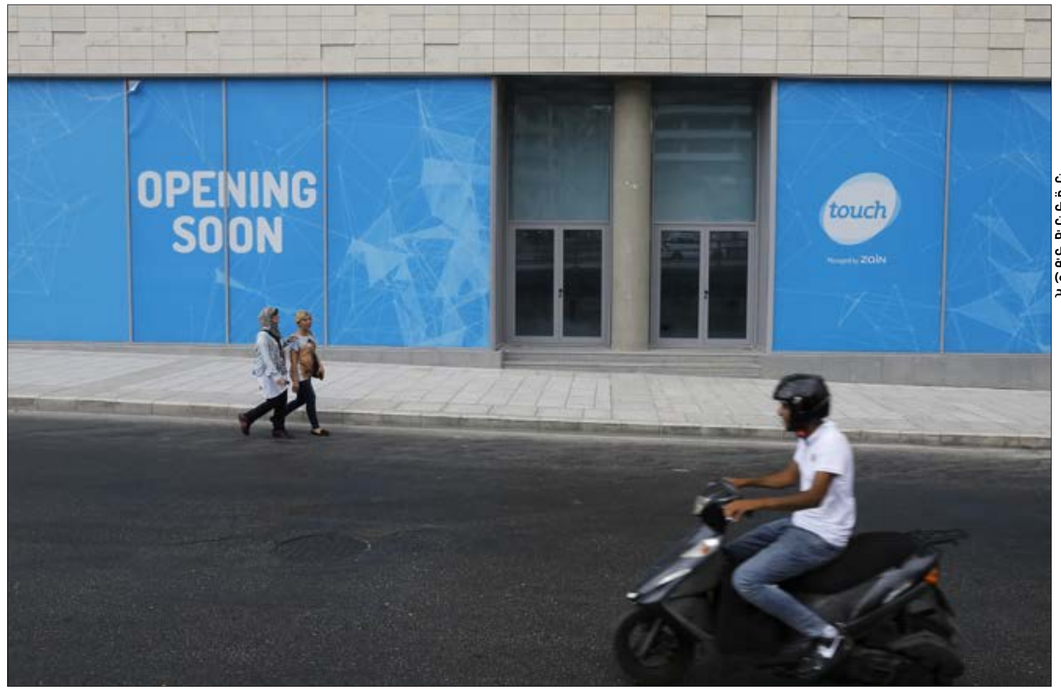

يَنقله عن حواط قولُه: فلتتحمّل الشركتان مسؤولية الفساد وليس الوزارة (مروان طحطح)

حتى تتمكّن من مواكبته، والخوف أن ينهار كلياً بعد أن تتسلمه». هذا هو تماماً ما يُنقل أيضاً عن طلال حواط. فبعيداً عن كلّ المصالح من التمديد للشركتين، يُخبر الرجل بأنّه «إذا كان من هدر وفساد فلتتحمّل الشركتان المسؤولية وليس وزارة الاتصالات»، مضيفاً أنّه لا يُريد أن تفشل الدولة في إدارة القطاع بوسم عهده بذلك.

الغطاء الأكبر لتجديد العقد يوفّره رئيس الحكومة، الذي بات موافقاً على أنّ توقيع عقد جديد في هذه المرحلة، هو الخيار الأفضل، والحجة هي تجنّب الدخول في سجال التعيينات في مجلسَي الإدارة والمحاصصة. أما حزب الله، ورغم أنّه لا يزال الأكثر تمسّكاً بموقفه لناحية تنفيذ القانون ووجوب إدارة الدولة للقطاع، ولكن أمام شبه الإجماع على تمديد العقد، بدأ يدرس الاحتمالات التي من الممكن أن يلجأ إليها عندما يُطرح الموضوع على مجلس الوزراء. فهل يبقى مُتمسّكاً بالرفض؟ أم يقبل تجديداً «مؤقتاً» إلى حين إجراء المناقصة في حال توصّل مجلس الوزراء إلى تحسين شروط العقد، كخفض قيمته وإعادة المصاريف لحساب الشركات؟ الأرجح أن يكون الخيار الثاني هو الغالب، ولا سيّما أنّ المطروح في الصيغة الجديدة من العقد هو تخفيض المصاريف الإدارية بنسبة 50%.

في حديثه مع قناة «الجديد»، يوم الثلاثاء الفائت، قال حواط إنّ قضية الخلوي سُتدرج على جدول أعمال مجلس الوزراء «في غضون الأسبوعين المُقبلين». في هذه الأثناء، لن يقف مكتوف اليدين، أو يصل إلى الجلسة «خالي الوفاض». فبحسب معلومات «الأخبار»، يُعِدّ وزير الاتصالات مع أحد المُحامين الذين تربطهم علاقة بأحدى الشركتين، اجتهاداً يُبيّن فيه عدم قانونية استرداد الدولة للقطاع، مُستنداً إلى المرسوم 393 الصادر سنة 2000، تحديداً الفقرة الثانية منه، لجهة أنّ تشغيل القطاع لا يتمّ عبر الدولة بل عن طريق إجراء مناقصة، مُتجاهلاً البند الثالث منه الذي يذكر أنّ «تتم المزايدة والمناقصة العموميتان في آن واحد وفقاً للقانون رقم 228 تاريخ 31\5\2000 (تنظيم عمليات الخصخصة وتحديد شروطها ومجالات تطبيقها)». كما أنّ المرسوم لم يُطبّق في السنوات السابقة، واقتصر الأمر على إجراء مناقصة تشغيل (وسبعة قرارات تمديد للعقد)، لكون تطبيقه مرتبطاً ببيع الدولة للقطاع. والسؤال الأبرز، بعدما طوى مجلس الوزراء فكرة استرداد الدولة للقطاع: هل ستنجح مناقصة دولية في ظل أزمة كورونا، أم أن الدولة ستلجأ مستقبلاً إلى تمديد إضافي (بعد التمديد الذي سيُقرّ في غضون أسبوعين) بذريعة الوباء العالمي؟

> الصيغة الجديدة من العقد تقضي بتخفيض المصاريف الإدارية بنسبة 50٪

أمر شركتَي الخلوي، بانتشار فيروس «كورونا». ولكن عملياً، هدف التأخير إلى ضمان «إقناع» كلّ الكتل السياسية الممثلة داخل مجلس الوزراء، بـ«فائدة» التمديد لـ«أوراسكوم» و«زين». ويقول أحد السياسيين المسؤولين عن هذا الملفّ لـ«الأخبار» إنّ الجميع «بدّل موقفه منذ قرابة أسبوعين، وباتت الأحزاب والكتل موافقة على التمديد»، بعدما كانت نفسها في لجنة الإعلام والاتصالات النيابية قد أصرّت على استرداد القطاع. التيار الوطني الحرّ واحدٌ منها. يقول أحد نوابه «إنّنا اليوم مُقبلون على استحقاق كبير، إما نُنقذ البلد وإما نذهب إلى النموذج الثاني حيث تكون الدولة مُحتكرة لمختلف القطاعات الاقتصادية. الحجة الشعبية للمُطالبة باسترداد القطاع هي أنّ عقد التشغيل كان باباً للفساد، وأنّ الدولة حين تسترد ستوقف ذلك، علماً بأنّ قطاعات عديدة تُديرها الدولة فيها فساد». يتحدّث النائب وكأنّ الدولة «فُسدت» من تلقاء ذاتها، ولم تكن سياسات الذين «أداروها» هي سبب اهترائها، مُقترحاً إنقاذ نموذج لم يترك أثراً واحداً بالإمكان التسلح به للدفاع عنه. يردّ بأنّ استرداد «قطاع كهذا ليس أمراً سهلاً، والآليات عمل الدولة بطيئة

ليا القزي

أوّل من سيتلقّى سهام تحمّل مسؤولية التمديد لشركتَي الخلوي، هو الوزير طلال حواط. ليس في ذلك «تجنّ»، بل هو أمر طبيعي لكونه مُتولّي حقيبة الاتصالات، صاحبة السلطة في هذا الملف، وبين يديه قرار استرداد الدولة لإدارة القطاع... فقضّل أن يُغلق عليه في الدرج. وحواط هدف أساسي أيضاً لتحميله المسؤولية، لكونه فوّض نفسه بنفسه، من دون الرجوع إلى مجلس الوزراء، إجراء مفاوضات غير رسمية مع شركتَي «أوراسكوم» (التي تُدير ميك 1 - «ألفا») و«زين» (التي تُدير ميك 2 - «تاتش»)، علماً بأنّ سلطة الوزير، في هذا الموضوع تحديداً، تقف عند عتبة استرداد القطاع. هذا الشقّ الوحيد الذي يحقّ له تنفيذه من دون العودة إلى أحد. أما التمديد للشركتين، أو وضع عقد جديد، فيستدعي التئام مجلس الوزراء. مُخالفة ثالثة، «تحرّر» للوزير الجديد، بعد أن خالف القانون مرّة أولى ورفض تنفيذ استرداد القطاع. اجتهادات وقرارات ومواقف عديدة صدرت في هذا الإطار، وتُخنصر جميعها بردّ هيئة الاستشارات والتشريع، التي أفتت بأنّ على وزارة الاتصالات «ممثلة بشخص الوزير أن تُبادر، وبشكل فوري وتلقائي، ومنذ الساعة الصفر ليوم الأربعاء الواقع فيه 2020/01/01، إلى اتّخاذ الإجراءات الإدارية والعملية كافة لتسلّم إدارة القطاع الخلوي، على أن تتولّى وزارة الاتصالات بواسطة المديرية العامة للاستثمار والصيانة مهمّة الإدارة». أما المرّة الثانية، فكانت حين أبقى على أبواب الوزارة مُشرّعة أمام طلبات نائب رئيس مجلس إدارة «زين» ورئيسها التنفيذي بدر الخرافي، وسمح للرئيس التنفيذي لشركة «تاتش» أيمري غوركان بالمشاركة في وضع «الخطّة المستقبلية» لقطاع الخلوي، قبل أن يُقدّمها إلى رئيس الحكومة حسّان دياب، في الأول من الشهر الجاري.

يُقدّم الخلوي صورة مختصرة عن «المغارة» اللبنانية الكُبرى، وعمّن يتحكّم في المفاصل العامة والقطاعات الحيوية. طلال حواط ليس وحيداً في ما يقترفه، وأصلاً ما كان باستطاعته أن يتحلّى بهذه «الشجاعة» والإصرار على عدم تنفيذ القانون، لو لم يكن يحظى بغطاء سياسي. تحجّج الوزير سابقاً بالتأخّر في طرح خطته للاتصالات على مجلس الوزراء وحسم

«ألفا» دفعت الرواتب

الأسبوع الماضي، مدّد الوزير طلال حواط عقد تشغيل «ألفا» أسبوعاً واحداً بهدف وحيد هو تحويل رواتب شهر آذار. قرابة ألف موظف في «ألفا» حُرموا من رواتبهم لأكثر من شهر، واستُخدموا كورقة ضغط في الصراع القائم لفرض التجديد للشركتين. وخلافاً لـ«زين»، رفضت «أوراسكوم» تسديد رواتب الموظفين من حسابها، رغم أنّ عقودهم موقّعة معها، على أن تستردها من الدولة اللبنانية لاحقاً. قرار حواط أثار الاستغراب، أولاً لجهة التأخر في اتخاذ هذه الخطوة، وثانياً لعدم تضمين القرار السماح بتحويل الإيرادات إلى المديرية العامة للاستثمار والصيانة، حتى تودعها في حساب وزارة الاتصالات، والدفع للموردين الذين مضت أشهر من دون أن يقبضوا ثمن الخدمات التي يُقدّمونها إلى الشركة.

تقرير

مشتركو المولّدات ضحية تسعيرة وزارة الطاقة

وحدهم المشتركون في المولدات الخاصة لم يستفيدوا من انخفاض أسعار النفط. سعر الكيلوواط المحدد من قبل وزارة الطاقة عصيّ على التأثر بهذا الانخفاض. ولذلك، بدلاً من أن يصل السعر إلى 300 ليرة للكيلو، لا يزال فوق الـ400 ليرة. الحجة هذه المرة هي سعر الدولار. تلك حجة قد تبرر ارتفاعاً محدوداً لكنها بالتأكيد لا يفترض أن تغطي على العامل الأهم، أي انخفاض سعر المازوت إلى مستويات قياسية

إيلي الفرزلي

403 ليرات هو سعر الكيلوواط/ ساعة الذي حدّدته وزارة الطاقة للمولدات الخاصة في شهر آذار. وهذا يعني بحسب قاعدة الاحتساب المعتمدة من قبل الوزارة أن المشترك بـ5 أمبير عليه أن يدفع 15 ألف ليرة كمبلغ مقطوع زائداً «مصروف الكهرباء»، مضروباً بـ403 ليرات لكل كيلوواط. لكن التدقيق في القرار الصادر في 27 آذار الماضي، يشير إلى أن هذا السعر مبني على متوسط سعر 14803 ليرات لصفيحة المازوت.

سعر الكيلوواط يبدو غير منطقي بالمقارنة مع سعر المازوت. هذا ما تؤكده التسعيرة التي صدرت في الأشهر الماضية. تكفي العودة إلى حزيران 2019 للتأكد من أن في التسعيرة الأخيرة إشكالية تؤدي إلى تكبيد المشتركين أموالاً إضافية غير مبررة. في ذلك الشهر حدّدت الوزارة سعر الكيلوواط بـ403 ليرات أيضاً، بالرغم من أن متوسط سعر صفيحة المازوت كان حينها 18153 ليرة (20 في المئة زيادة عن السعر في آذار). لماذا هذه الزيادة في الوقت الذي يعاني فيه المواطنون من حجر منزلي ملزم منع جلّهم من استئناف أعمالهم، وفاقم من صعوبة الأوضاع المعيشية؟ ليس المطلوب تخفيض الأسعار تماشياً مع الأوضاع الحالية، أو تعميم تجربة بيع الطاقة بسعر الكلفة، كما يحصل في عدد من المناطق، لكن على الأقل يُفترض الالتزام بقاعدة الحساب المعمول بها منذ سنوات، والتي يبدو أن الوزارة تخلّت عنها. على سبيل المثال، سجل العام 2017 معدلاً وسطاً لأسعار المازوت مشابهاً لأسعار شهر آذار الماضي (14892 ليرة للصفيحة)، لكن النتيجة كانت سعراً وسطياً للكيلوواط لا يتجاوز 263 ليرة! الفارق يصل إلى 150 ليرة، فهل هناك ما يبرره؟

في جردة لتغير سعر الكيلوواط بالمقارنة مع تغير سعر المازوت منذ تشرين الثاني 2018، تاريخ إلزام أصحاب المولدات بتركيب عدادات للمشتركين، يتضح أن الفروقات ظلت مقبولة في أحيان كثيرة (وإن كانت غير مبرّرة أحياناً)، إلا أن التغيير الفعلي حصل في شباط من العام الحالي، حينها بدأت تداعيات فيروس كورونا تضع ثقلها على الاقتصاد العالمي، فارضة تخفيض الطلب على النفط، فكانت النتيجة انخفاضات كبيرة في أسعاره. وعليه، انخفض متوسط سعر المازوت في لبنان عن الشهر الذي سبق بنسبة 8,6 في المئة (انخفض السعر من 18063 إلى 16507 ليرات)، إلا أن هذا الانخفاض الواضح لم يترجم تخفيضاً لسعر الكيلوواط، الذي انخفض بنسبة 1,4 في المئة فقط (من 429 ليرة إلى 423 ليرة). الأمر نفسه تكرر في آذار؛ انخفض سعر المازوت مجدداً بنسبة 15 في المئة، إلا أن سعر الكيلوواط لم ينخفض سوى 3,9 في المئة، مستقراً عند 403 ليرات. حسبة بسيطة تُبيّن أنه بالاعتماد على أسعار الديزل في نهاية العام 2018، يفترض أن لا يتخطى السعر 308 ليرات، فلماذا زيادة الـ100 ليرة، والتي تعادل 23,5 في المئة، على كل كيلوواط؟ وهذه النسبة قد تزداد في حال الالتزام بطلب بعض المحافظين من أصحاب المولّدات الاكتفاء بتحصيل سعر الكلفة، في ظل الأوضاع الراهنة. عندها سيقتصر السعر على 231 ليرة للكيلوواط.

لا يجد مصدر معني سوى تفسير وحيد لما يحصل: نجح أصحاب المولدات في فرض وجهة نظرهم، التي يكررونها منذ انطلقت الآلية الجديدة للتسعير، ومفادها أن طريقة التسعير تؤدي إلى خسارتهم. قد يكون الأمر صحيحاً، خاصة مع ارتفاع سعر الدولار، لكن ذلك لا يعني وجوب انحراف قرار الوزارة عن هدف تأمين الطاقة للمواطنين بسعر عادل، وبما يسمح لأصحاب المولدات بتحقيق هوامش ربحية منطقية.

بحسب الأسعار الجديدة، يكون المشترك قد خسر معظم الامتيازات التي كان حصّلها مع بدء تركيب العدادات. وهي امتيازات بدأت تتآكل مع كل شهر مرّ منذ ذلك الحين. فهل هذا يعني أن آلية التسعير في الوزارة لم تعد هي نفسها؟ وما قيمة سعر المازوت عندها، بوصفه العنصر الأهم في المعادلة، إذا صار التسعير يعتمد على عوامل أخرى؟ وفي الأصل، لماذا لا توضح الوزارة على موقعها الإلكتروني آلية احتساب سعر الكيلوواط، حتى لو تغيّرت، بدلاً من الاكتفاء بالإشارة إلى سعره كل شهر؟ تقرّ مصادر معنية في وزارة الطاقة بأن السعر المعلن للكيلوواط يفوق السعر الفعلي، موضحة أن عوامل أخرى بدأت تدخل إلى تركيبة السعر. في بيان صادر عن الوزارة، أمس، تقول إن من هذه العوامل: «الفارق بين سعر صفيحة المازوت الرسمي وسعر السوق، إضافة إلى زيادة ساعات التقنين خلال شهر آذار وارتفاع أسعار قطع الغيار والزيوت والفلاتر لارتباطها المباشر بسعر الدولار».

> السعر المحدد للكيلوواط في المولدات أعلى بنسبة 23٪ من سعره الفعلي

وأضاف البيان أنّ الوزارة أخذت كل هذه العوامل في الحسبان عند إصدار التسعيرة التوجيهية أواخر شهر آذار وأدخلتها في المعادلة، ما انعكس انخفاضاً محدوداً وقدره 26 ليرة عن شهر شباط، على أن يستمر هذا الانخفاض تدريجياً خلال شهر نيسان إذا استمر سعر النفط العالمي على وتيرته أو تابع الانخفاض.

سعر الصرف لا شك في أنه يسهم في زيادة النفقات، لكن بالنسبة إلى المولدات فإن العامل الوازن في تحديد التعرفة هو سعر المازوت، وهو يفترض أن لا يتأثر بسعر الصرف، لأن صاحب المولد يدفع ثمنه بالليرة اللبنانية؟ مصادر معنية تجزم بأن هذا الأمر كان صحيحاً عندما كانت المولدات تحصل على حاجتها من منشآت النفط، لكن بعدما صارت الأخيرة تعامل أسوة بمستوردي النفط من الشركات الخاصة، أي يفرض عليها تأمين 15 في المئة من قيمة الشحنة بالدولار، لم تعد قادرة على تسليم المولدات كامل حاجتها بالليرة. وعليه، فقد توجه أصحاب المولدات إلى السوق لتأمين المازوت. وفي السوق، على ما يؤكد أحد أصحاب المولدات، لا يباع المازوت بالسعر الرسمي، كذلك يفرض عليهم دفع جزء من قيمته بالدولار، ما يزيد الكلفة عليهم. الأمر نفسه تؤكده الوزارة في بيانها: للمازوت سعران، السعر الرسمي وسعر السوق، والفارق بينهما «يتوسع».

إضافة إلى الفارق في سعر الدولار، فإن عاملاً جديداً يشتكي منه أصحاب المولدات حالياً، هو ازدياد نسبة المتخلّفين عن دفع فواتيرهم، ما يلقي أعباءً إضافية عليهم.

هل هذا يعني أن الأسعار تحرّرت من ترابطها مع سعر المازوت؟ ينكر مصدر في وزارة الطاقة ذلك، مؤكداً أنه يبقى العامل الأكثر أهمية، لكن من دون استبعاد أهمية عوامل أخرى تؤثر في تحديد السعر، ولا سيما منها، حالياً، سعر الدولار.

مع ذلك، يوضح المصدر أن الانخفاض الطفيف في سعر الكيلوواط في آذار كان مجرد هبوط هادئ للأسعار، إلا أنه سيُستكمل في نيسان، خاصة أن سعر المازوت وصل راهناً إلى 10300 ليرة. يضيف: الحرص على مصالح الناس لا يعني الإضرار بمصالح أصحاب المولّدات الذين وصلوا إلى التهديد بإطفاء مولّداتهم إذا لم تراعَ ظروفهم. هنا تستفيض الوزارة في بيانها: توضح أنّ «تطبيق المعادلة بشكل نظري، من دون احتساب تقلبات سعر الدولار الموازي وكلفة الصيانة المرتفعة، كان سيؤدي الى انخفاض أكبر في سعر الكيلوواط ينتج عنه توقف عدد كبير من المولدات الخاصة، المتوسطة والصغيرة، الموجودة في القرى والبلدات والتجمعات السكنية المحدودة، بسبب عدم قدرتها على الاستمرار». وهذا دفع الوزارة إلى «اللجوء إلى التخفيض التدريجي للأسعار، إفساحاً في المجال أمام أصحاب المولدات للتأقلم مع الواقع الجديد والاستمرار في تقديم الخدمة». بالرغم من إعلان الوزارة نهاية المعادلة السابقة التي تحكم التسعيرة، فإن ذلك لا يبرر أن يكون المشترك هو الضحية، خاصة في ظل الأوضاع الراهنة. وإذا كانت أولوية الوزارة لا تزال المواءمة بين مصالح الطرفين، فإن تجربة الشهرين الماضيين تشير إلى رجحان كفة مصلحة أصحاب المولدات، فهل يعود التوازن في نيسان؟

تقرير

اعتداء إسرائيلي على «المصنع»

مرة جديدة، استخدم العدو الإسرائيلي الطائرات المسيّرة عن بُعد لاستهداف إحدى السيارات التابعة للمقاومة، صباح أمس، أطلقت «درون» صاروخين على هدفها، سيارة من طراز جيب شيروكي، على بعد أمتار من هنغار الجمارك السورية في منطقة جديدة يابوس. وفيما لم تتّضح بعد طبيعة الغارة والهدف، حيث تمكّن أفراد السيارة من تركها بعد انفجار الصاروخ الأول أمامها قبل أن يصيبها الصاروخ الثاني، لم تنفِ المقاومة أو تؤكّد استهداف إحدى سياراتها، بينما أعلنت وكالة سانا الرسمية السورية أن مسيّرة إسرائيلية معادية أطلقت صاروخين على سيارة عند الحدود اللبنانية - السورية. ويأتي هذا الهجوم في ظلّ تحليق كثيف منذ أيام للطائرات المسيّرة والحربية في الأجواء اللبنانية، وأكثر من اعتداء على أهداف في داخل سوريا انطلاقاً من الأجواء اللبنانية. وكذلك تأتي الغارة بعد حملة التحريض التي قام بها جيش العدو والناطق الرسمي باسمه على مواقع التواصل الاجتماعي، عبر نشر فيديو لجولة عسكرية على الحدود لضباط كبار في الجيش السوري والزعم أن أحد قادة للمقاومة كانوا برفقتهم، وتوجيه التهديدات للجيش السوري والمقاومة. ويحاول العدوّ الإسرائيلي أن يحافظ على إجراءاته العدوانية تحت ستار التحرّكات «الردعية» ضد المقاومة متذرّعاً بأنشطة لها في الجنوب السوري، وضد عمليات تطوير قدرات الجيش السوري ونقل السلاح إلى لبنان، في ظلّ تفشّي وباء كورونا وانشغاله في الجبهة الداخلية. وتبدو هذه الخطوات عدائية ومدروسة في آن واحد، تحكمها الخشية من أي تدحرج للاشتباك على الجبهتين اللبنانية والسورية معاً نحو صدام عسكري يضع الطرفين أمام الحرب الحتميّة المؤجّلة.

(الأخبار)

قضية

لبنان والسيادة الغذائية: القمح والفاصولياء أبقى من اللحم والدولار

تفرض الأزمة المالية والاقتصادية اللبنانية في عالم ما بعد وباء كورونا، حصول تحوّل جذري في القطاع الزراعي اللبناني وتغييرات جديّة في النُّظم الغذائية. وزارة الزراعة تعمل على خطّة إنقاذ محكومة بالقدرات المحدودة وكلاسيكية التفكير، فيما يطرح العديد من الخبراء والناشطين أساليب جديدة تحمي البلاد من خطر الجوع

فراس الشوفي

الجوع يكوي النَّفوس، كما لا ينجح أن يصقلها المنطق. فلأول مرّة منذ تأسيس الكيان اللبناني، يسري بين بعض اللبنانيين، مواطنين وجهات وسلطات، مصطلح «الأمن الغذائي». والفضل في ذلك متقدّماً، لبنجامين فرنكلين، الذي مدّ يده من ورقة المئة دولار، ملوّحاً للبنان بالوداع معلناً نهاية حقبة، وانكشاف «نصبة العصر» في النظام المصرفي اللبناني. وثانياً، لوباء كورونا، الذي جرّد المستقبل من الأمل في عودة «المرحوم» فرنكلين عن قراره. وإذا استثنينا «الطفرة» الزراعية خلال عهد الرئيس فؤاد شهاب، لم يكن النظام اللبناني وأركانه، ومعهم الجزء الأكبر من المواطنين، معنيين بزراعة ما يأكلون. بل على النقيض، سعت السياسات

> **يقترح مرتضى قيام الجيش بإحصاء مخزون الحبوب والغذاء وتولّي توزيعه على التجار لضبط الأسعار**
>
> **البطريركية والمجلس الشيعي، متاخزين، وضعا أراضي زراعية في تصرّف الوزارة**

الرسمية والمالية والاقتصادية إلى تفكيك ما تبقّى من المجتمع الزراعي اللبناني، وإغرائه قبل وبعد الحرب الأهلية، بالربح السريع والخدمات والهوس بالأعمال العقارية. فغرق «الخواجات» خلف المكاتب والمشارب، وبارت الأرض. ومن تمسّك بدين الحقول، فإمّا خانته المواسم والدولة وبالكاد يصمد على «الحافة»، وإمّا تورّط في الزراعة «التجارية» المغمّسة بالسموم والأسمدة الكيميائية وبالكاد يستمرّ في أعماله، حتى لو كان محتكراً «محترماً»!

مع أن لبنان «الكبير» كان صغيراً، وكُبّر حين وقع الظلم على الأقضية الأربعة، وضُمّت إليه سهول البقاع وعكّار، لأهداف شتى، منها ألا يجوع سكّان جبل لبنان. بعد قرن كامل، بدل أن يشبع الجبل، يقفّ اللبنانيون جميعهم أمام خطر مركّب، من المرض والفوضى... والجوع!

فالحال في البلد - الذي ينفق 700 مليون دولار على السكاكر والمشروبات الغازية و60 مليوناً على «الكورن فليكس» و5 ملايين على «الكاتشاب» سنوياً (راجع الأرقام المرعبة في تحقيق نشرته «الأخبار»، ملحق «رأس المال»، 18 آذار 2019) - إذا جنحت نحو السيناريو الكئيب، قد تكون أكثر بذاءة من حال العراق، حين امتصّ الأميركيون نفطه مقابل القمح وحليب الأطفال المجفّف، لعقدين وأكثر. فلا البطون الخاثرة تنتظر سنوات ليخرج الغاز من البحر وتقايضه بالقمح، على مذهب أرجوان الفينيقيين القدامى، ولا كورونا سيوفّر دول التصدير من الكساد، وتراجع قدرتها على تلبية احتياجات الشعوب المستهلكة، فتتساوى - إلى حدّ ما - من يملك المال مع من لا يملك، ويتسيّد من يكدّس الغذاء. وافتتح رومانيا قبل أيام سباق الدول التي قد تتوقّف عن تصدير الحبوب (روسيا، أوكرانيا، بيلاروسيا، أميركا، كندا، أستراليا، الهند...) معلنة تجميد عمليات تصدير الحنطة إلى أجلٍ غير مسمّى.

يقدّر الدكتور المحاضر في سلامة الغذاء والتنمية المستدامة، فايز عراجي، في تقرير نُشر مطلع العام الحالي، تحت عنوان: «الانهيار الاقتصادي اللبناني وانعكاساته على النظام الغذائي»، أن «الإنتاج المحلي اللبناني يغطّي اقل من 25 % من احتياجات السوق المحلية من القمح، و 30% من الألبان والأجبان و15 % من اللحوم. بينما يغطي الإنتاج المحلي من الخضار 88% من الطلب اللبناني، وتقريباً هناك شبه اكتفاء ذاتي من الدجاج والبيض والفواكه». وهذا يعني أن لبنان، مثل غيره من الدول العربية، ينتج اقل من 50% من سعراته الحرارية الغذائية، و«هذا يقود إلى تبعيّة غذائية ولاحقاً إلى تبعيّة سياسية مطلقة».

«خطة الأمن الغذائي»

وكما هو شأن الأرقام في لبنان، لا تحوز الدولة إلّا في ما ندر، على إحصاء دقيق، يسعى وزير الزراعة عبّاس مرتضى إلى جرد موجودات كميات الحبوب والحنطة ومشتقاتها الموجودة في العنابر والمخازن والحقول، بانتظار أن يبدأ الجيش اللبناني بعمليّة إحصائية، كما قال لـ«الأخبار». وهو اقترح الأمر على رئيس الحكومة حسّان دياب، ومن المفترض أنه عقد اجتماعاً مع نائبته وزيرة الدفاع زينة عدرا بهذا الخصوص، على أن «يكلّف الجيش بتوزيع المواد على التّجار لمنع الاحتكار وضبط الأسعار». لكنّ التقديرات لا تمنح «المخزون الحالي أكثر من شهرين، قبل دخول أزمة فعليّة، ما لم تُقدم الدّولة على خطوات سريعة وتؤسّس لخطوات مستقبلية». ويُعِدّ مرتضى وفريق عمل الوزارة «خطة الأمن الغذائي»، لرفعها إلى رئاسة الحكومة هذا الأسبوع ثم عرضها على الوزراء، ويصفها بـ«خطة الاستجابة السريعة لدعم القطاع الزراعي»، وهي تبدأ أوّلاً «بشراء كميات كبيرة من الحبوب وتكديسها وتوزيع البذور والأسمدة على المزارعين وتشجيعهم وهناك خطوات أخرى في طور التبلور».

وحين سؤال الوزير عن توزيع بذور القمح، أكّد أن «ملفّ القمح يتبع وزارة الاقتصاد وليس وزارة الزراعة»، مستغرباً الأمر بنفسه. «الأخبار» حاولت الاتصال بالوزير راوول نعمة أكثر من مرة، لسؤاله عن خطّة وزارته لزراعة القمح، ولم توفّق في سماع صوته عبر الهاتف. ويقول زملاؤه الوزراء والعديد من الصحافيين، إنه «دائم الانشغال في وضع الخطط المالية»!

لا يكشف مرتضى الكثير من خطّته التي لم تُنجز بعد. فعدا عن العمل التوعوي، ونشر فيديوهات إرشادية للبنانيين الذين فطنوا للزراعة أخيراً، وتوزيع الأسمدة والبذور أو (Food sovereignty)، الذي أطلقته منظمة وحيدة هي فيا كامبسينا (Via campesina)، تجمّع زراعي عالمي مقرّه أفريقيا) عام 1996 خلال القمة العالمية للغذاء. ويحمل المصطلح بُعد العدالة الاجتماعية، عبر ضمان الدولة لوصول الغذاء بالتساوي إلى أفراد الشعب، وخصوصاً في بلدٍ مثل لبنان، ينتزع الأفراد حقوقهم فيه إمّا بالقوّة المادية أو قوّة الجماعة، ويئنّ نصف سكّانه من الفقر. وكذلك يحمل المصطلح بعداً سياسياً لتحقيق قدرة الدول والشعوب على بناء سيادة غذائية تحرّرها من التبعية للأجنبي.

ويطرح عراجي سؤالاً مهمّاً: «هل باستطاعة لبنان وضع وتنفيذ خطة غذائية تُعطي أكلها في السنوات القليلة القادمة؟ بالتأكيد نعم». فكوبا مثلاً، التي خسرت الدعم السوفياتي بداية التسعينات، ضاعفت إنتاجها من الزراعات، مع أنها تحوّلت من الزراعة التقليدية إلى الزراعة العضوية بالكامل بسبب فقدان الأسمدة الكيماوية والأدوية الزراعية، كما هو متوقّع في حالة لبنان، مع شحّ المال والمصادر. وكذلك الأمر بالنسبة إلى سوريا، التي أنجزت تقدّماً زراعياً هائلاً تحت وطأة أربعة عقود من الحصار. يستنتج الخبير بأن «علينا التركيز على 3 منتجات غذائية أساسية هي القمح واللحوم الحمراء والألبان والأجبان. أهمية هذه الخطة هي ضمان استقرار غذائي في السلع الغذائية الأساسية من ناحية، وتحقيق العدالة الغذائية».

هذا يقود إلى أن أيّ خطّة زراعية اليوم، عليها أن تحتمل جملة حلول، من بينها إعادة النظر في النظام الغذائي حتى تتمّ إعادة النظر في السياسة الزراعية. يبدو اجتراح الحلول الـ«خلّاقة» التي تدمج بين العودة إلى التقاليد الغذائية لبلاد الشام (استخدام القاورما مثلاً بدل كميات اللحم الكبيرة) ورفع كميّة ونوعيّة الإنتاج المحلّي، غائبة على مستوى القرار السياسي والاجتماعي، مع نقص المعرفة والاهتمام، والخضوع الطوعي والّلاإرادي لنظام الاستهلاك، الذي كشفت هشاشته كورونا. وهذا النوع من المعارف، الذي بات يستوجب من الدولة العمل على الاستفادة منه والمجتمع على التكيّف معه، سبق أن أنتج تطوّراً لافتاً في الأرياف في السنوات الخمس الماضية عبر تجارب شخصيّة وجماعية، لشبّان وشابات ومجموعات صغيرة، حقّقوا اكتفاء ذاتياً لعائلاتهم ودوافرهم الاجتماعية الصغيرة.

الذرة أم الدجاج؟!

يقول الباحث في قضايا المياه والزراعة والتنمية كريم صبّاغ إن «الأمر المستعجل الآن هو استيراد الحبوب، قبل أن تشحّ الموارد المالية لدينا والمادية لدى دول التصدير». وفيما يسأل: «في مثل هذه الظروف، هل نزرع الفريز أو القمح؟ نحن نصدّر الحمضيات منذ سبعين سنة وتخلينا عن القمح والفاصولياء والعدس والحمص»، يؤكّد أن «الزراعات اللبنانية تغرق بالسماد والأدوية الزراعية المستوردة، ومقابل خسارة العملة الصعبة ثمن المواد المستوردة ننتج المحاصيل السامة ويخسر المزارعون الفقراء ويستفيد التجّار الكبار والمحتكرون». ويطرح صبّاغ ضرورة التحوّل نحو منطق الـ«أغرو . إيكولوجي»، و«تحويل الزراعة بشكل عام أو على مستوى مناطق محدّدة للزراعة من دون استعمال المواد الكيميائية والأدوية السامة، وخلق نظام للبذ العاملة، إذ يعمل اليوم حوالى 160 الف لبناني في الزراعة، 80 الفاً منهم يعتاشون منها بنظام عمل العائلات، و80 الفاً يعتاشون من مهن أخرى، وهناك حوالى 10 آلاف مزارع كبير للزراعة الصناعية، والأكثر معاناة هم المجموعة الأولى التي تعتاش بالكامل على هذا القطاع». ويؤكّد صبّاغ أن «لبنان لوحده لن يستطيع الصمود ما لم يغيّر سريعاً في سياساته الزراعية والغذائية وتخفيف الاعتماد على اللحوم وزراعة الحبوب للأكل. نزرع الذرة، لكن نطعمها للدجاج (ثمن العرنوس الواحد يصل إلى خمسة آلاف ليرة في السوق)، لماذا لا ناكل الذرة بدل الدجاج؟». ويطرح صبّاغ أزمة الأراضي الزراعية، حيث تغيب الأنظمة الفعّالة التي تدفع المواطنين لاستثمار الأراضي الزراعية، فتسعى غالبيتهم إلى بيعها أو البناء عليها وتغيير وجهة استعمالها أمام القانون ولا تشجّع القوانين ضمان الأراضي، سائلاً عن «400 هكتار من الأراضي الزراعية الخصبة التي ستغرق بالمياه تحت سدّ بسري. لماذا نحتاج إلى الماء إذا اغرقنا الأرض الزراعية؟». وفيما يدعو صبّاغ الحكومة ووزارة الزراعة لرعاية خطّة زراعية شاملة في البلاد على وجه السرعة، يدعو اللبنانيين إلى زراعة كلّ الأماكن المتاحة بالحبوب، والمساحات العامة والأسطح والشرفات في المدن.

اكتفاء ذاتي في بعض قرى الشوف

ينشط فراس رباح، وهو مزارع لبناني شاب، مع مجموعة أخرى من منطقة الشوف على تشجيع الزراعة البديلة وتطويرها. يقول لـ«الأخبار» إن «الأشهر الأخيرة دفعت الكثيرين إلى زراعة أراضيهم، والتجربة التي تعبنا في السنوات الماضية لإقناع الناس بها، ها هي تعمّ اليوم». ويؤكّد أن «هناك نشاطاً في زراعة الحبوب كالحمص والفاصولياء والقمح والفول والبازيلاء، والبطاطا تحسّباً للمستقبل، وما نحاول فعله هو توزيع الاختصاصات على صعيد القرى». ويذكر أن هناك تجارب في قرى بدأت تشكّل اكتفاءً ذاتياً عبر تنظيم المواسم وتبادل الإنتاج، والتجربة في بلدة بتلون كانت ناجحة». ويشير رباح إلى أن «هناك صعوبة في إقناع الجيل القديم بالتوقّف عن استعمال السماد الصناعي والسموم، لكن الجيل الشاب بأغلبه يأخذ هذا التوجّه، ونجحنا مع محميّة أرز الباروك في إقناع عدد مقبول من الأشخاص بتبني العقلية الجديدة». من جهته، ينشط المهندس الزراعي حنّا مخايل، مع زملاء آخرين، في تشجيع المزارعين وتقديم الإرشادات وعرض الخبرات أمامهم، عبر مجموعة «إزرع»، التي أجرت سلسلة نشاطات توعوية قبل دخول البلاد في الحجر. ويقول حنّا إن «شريحة واسعة من اللبنانيين اليوم تبدي اهتماماً كبيراً بالزراعة»، مقترحاً على الدولة الاستفادة من هذه الخبرات التي اكتسبها المهندسون الشباب.

صباغ: نزرع الذرة ونطعمها للدجاج. فلماذا لا ناكلها؟ (أرشيف)

وجهة نظر

قليك من التواضع يا «أخ محمد»

نازعتني النفس أن لا أخوض في موضوع طيران الشرق الأوسط مرة أخرى، ولكن المؤتمر الصحافي الذي عقده رئيس الشركة السيد محمد الحوت اضطرني مرة أخرى إلى التعليق على ما ورد فيه.

أولاً، ذكر الحوت أن الشركة خسرت 750 مليون دولار قبل تسلّمه رئاسة الشركة. وبخطة إعجازية، تمكن من تطوير الشركة، حتى فاقت الأرباح مليار دولار نهاية العام الفائت. وذكر أن الشركة تتكبّد 35 مليون دولار شهرياً في حال إغلاق مطار بيروت. ومع تشكيكي في الأرقام المذكورة، نسي الحوت أو تناسى أنه بين عامي 1975 و1989 نشبت حرب أهلية ضروس في لبنان وأن مطار بيروت الدولي، الحريري في ما بعد، أُقفل حوالى (30) شهراً بصورة متقطعة، وأن شركات الطيران العالمية أبدت دهشتها لبقاء الشركة على قيد الحياة، وعبّرت عن ذلك خلال مؤتمر دولي عُقد في القاهرة عام 1994. ويعود الفضل في ذلك إلى موظفي الشركة وطيّاريها وإلى الرؤساء التاريخيين نجيب علم الدين، وأسعد نصر وسليم سلام. والجدير بالذكر أن الموظفين عوقبوا نتيجة تضحياتهم بصرف ما ينيف على 1600 منهم ضمن «الخطة الإصلاحية» التي دعمها سياسيّو لبنان آنئذ، وشارك فيها حاكم مصرف لبنان بهندسة مالية لعلها كانت فاتحة الهندسات المالية المعروفة.

ثانياً: كرر الحوت مقولته بأن شركة طيران الشرق الأوسط هي شركة تجارية وليست شركة عامة. وفي هذا الصدد لا بد لي من طرح الأسئلة التالية:

من يعيّن أعضاء مجلس الإدارة؟ وهل عبر تاريخ الشرق الأوسط، تألف مجلس إدارة واحد من قبل جمعية عمومية للمساهمين من دون موافقة الدولة اللبنانية؟ أليس صحيحاً أن عقد آخر جمعية عمومية عام 2017 تعرقل ثم أُلغي بسبب خلاف سياسي كما هو معروف؟ هل اشترى مصرف لبنان حصتي Air France وبنك إنترا عام 1996 بأسهم الميدل إيست من دون موافقة الدولة اللبنانية؟ هل امتلاك مصرف لبنان ما يزيد على 99% من أسهم الشركة لا يجعلها حكماً شركة عامة، أم أن مصرف لبنان هو خارج الدولة اللبنانية؟ هل أقرض مصرف لبنان الشركة ما يزيد على (500) مليون دولار في فترات مختلفة، بما في ذلك الهندسة المالية المذكورة سابقاً بفائدة 1% حُوّلت في ما بعد إلى رأس المال باعتبارها شركة تجارية؟

عام 1969 شارفت شركة ليا LIA على الإفلاس. ومنعاً لحصول أزمة عمالية، طلبت الدولة من طيران الشرق الأوسط أن تستوعب جميع موظفي شركة LIA. ومقابل ذلك طلبت الشركة من الدولة تعويضاً عن الكلفة العالية التي سوف تتحمّلها، والامتناع عن الموافقة على إنشاء شركة طيران جديدة لمنع تكرار ما حدث مع LIA . وفي العام 1992، تقدم مجلس إدارتنا بطلب تمديد الفترة 20 عاماً آخر نظراً إلى ظروف الحرب الأهلية اللبنانية وما سبقها من اضطرابات حالت دون أن نستفيد من الموافقة الأولى للدولة، لأنه كان من الطبيعي خلال تلك الفترة أن لا يتقدم أي مستثمر لبناني على إنشاء شركة خاصة. أما بعد انتهاء الحرب، فاحتمال كهذا كبير جداً. وافقت الدولة على التمديد حتى 2012 آخذة في الاعتبار أن الشركة تُعتبر الشركة الوطنية اللبنانية وعانت ما عانته خلال الحرب اللبنانية، انتهت صلاحية التمديد عام 2012، وكان رئيس الشركة ومن ورائه الحاكم بأمر لبنان قد روّجا أن الشركة قد غيّرت من فلسفتها وأصبحت كغيرها من الشركات التجارية تبتغي الربح فقط. إلا أنه بالرغم من ذلك، فقد جرى تمديد الاحتكار لمدة 12 سنة أخرى. والسؤال هنا، هل يمكن لأي شركة تجارية تبتغي الربح فقط أن تُعطى هذا الاحتكار الذي أُعطي سابقاً لشركة وطنية؟ يمكن إغراق هذا الموضوع بكثير من القشور القانونية، ولكن تبقى الحقيقة الساطعة أن الشعب اللبناني يعتبر طيران الشرق الأوسط شركته الوطنية. رحم الله نقيب الصحافة السابق محمد بعلبكي الذي كان يردد من على المنابر مقولته الشهيرة: «هل يمكن أن تتصوروا لبنان من دون شركته الوطنية، أي طيران الشرق الأوسط؟».

قليل من التواضع يا أخ محمد، قد ينير الطريق أمامك. حفظ الله الشركة وأبعدها عن التجاذبات السياسية التي أرهقت هذا البلد الحبيب.

عبد الحميد فاخوري
الرئيس السابق لشركة طيران الشرق الأوسط

على الغلاف

(مروان طحطح)

25 إصابة جديدة: الارتفاع «مبرّر»!

25 إصابة جديدة بفيروس كورونا هي «حصيلة» أمس. وفق مصادر معنية، ارتفاع الأرقام مُجدّداً «مُبرر» نظراً الى زيادة عدد الفحوصات وإلى عامل قدوم اللبنانيين الوافدين. يشير ذلك، مجدداً الى اهمية الإسراع في رفع عدد الفحوصات المخبرية في المناطق من جهة، ورفع منسوب التأهب والحذر في التعاطي مع ملف المغتربين

هديل فرفور

عادت أرقام الإصابات بفيروس كورونا الى التصاعد بعدما سلكت في الأيام الماضية مساراً شبه ثابت. فبعد إعلان وزارة الصحة، ظهر أمس، تسجيل 17 إصابة جديدة (12 منها تعود لمُقيمين من أصل 771 فحصاً و5 إصابات في صفوف وافدين من أصل 170 فحصاً)، أعلن مُستشفى رفيق الحريري الحكومي، مساءً، تسجيل سبع إصابات جديدة، وأعلن في بشري ليلاً تسجيل إصابة جديدة (من أصل 72 فحصاً)، فيما لم تُعلن نتائج 53 فحصاً. بذلك، يكون مجموع الإصابات المُسجّلة، أمس، 25 ليُقفل عدّاد كورونا على 666 إصابة، شُفي منها 84 (أعلن مُستشفى رفيق الحريري شفاء ثلاث حالات مساءً) وتوفي 21.

في المُبدأ، يعود الارتفاع إلى عاملَين أساسيين: الأول زيادة عدد الفحوصات المخبرية مُقارنة مع الأيام الثلاثة الماضية (تراوحت بين 240 فحصاً ولم تتجاوز الـ 527 فحصاً)، والثاني عامل عودة المغتربين، ما يؤثر حُكماً على المنحنى العلمي لأعداد الإصابات. ويؤكد ذلك، مجدداً، أهمية الإسراع في رفع عدد الفحوصات المخبرية في المناطق، والتي من المُقرر أن تصل نهاية الأسبوع المقبل إلى ألف فحص يومياً (للمُقيمين)، على أن تستكمل الفحوصات للوافدين الخاضعين للحجر من جهة، ورفع منسوب التأهّب بشأن ملف المغتربين من جهة أخرى. بحسب المُتخصّص في علوم الجزيئيات الذرية والنانوتكنولوجيا الدكتور محمد حمية، من المتوقع أن يُسجّل المنحنى الوبائي كل فترة (كل 14 يوماً) «قفزة علمية»، أي ارتفاعاً

> **زيادة الفحوصات وعودة المغتربين أعادا رفع المنحنى الوبائي**

في أعداد الإصابات بشكل فجائي، «لكنه يعاود الهبوط»، لافتاً إلى أن الأرقام في لبنان حتى الآن «لا تزال تحت سقف تسجيل الإصابات الذي كان متوقعاً في منتصف نيسان»، ومُشيراً إلى أن المنحنى الوبائي مُتّجه نحو الثبات ما لم تطرأ أي عوامل فجائية.

وهذا ما أكده أيضاً وزير الصحة حمد حسن أثناء تفقده أمس مُستشفى معربس في عين الرمانة، مشيراً الى «أننا سجّلنا بالنقاط تفوّقاً على فيروس كورونا. لكن من دون ضربة قاضية (...) ومستمرون في الطريق الصحيح لنسجّل في المرمى النصر الأخير». كذلك وصف المُدير العام لمُستشفى رفيق الحريري الحكومي فراس الأبيض الوضع بأنه «مقبول مُقارنةً بدول ذات إمكانات مادية كبيرة»

وإلى حين توسيع مروحة الخاضعين للفحوصات، وخصوصاً في المناطق، تتولى بعض السلطات المحلية مهمة إجراء فحوصات الـ pcr بالتعاون مع جهات ومنظمات غير حكومية. وبعد تجربة بشري التي تبرع عدد من أبنائها بتكاليف الفحوصات في المُستشفى الحكومي في المدينة، أجرت بلدية بلاط في جبيل، أمس، فحوصات لنحو 35 مشتبهاً بإصابتهم من أبناء البلدة بالتعاون مع كلية الطب في الجامعة اللبنانية الأميركية التي أطلقت منذ أيام عيادة نقالة تضم طاقماً طبياً.

ووفق الأرقام الرسمية، فإنّ 2458 شخصاً يخضعون حالياً في الحجر بسبب الاشتباه بإصابتهم.

إلى ذلك، يبحث مجلس الوزراء، اليوم، في مطالبة المُستشفيات الخاصة بتسديد المُستحقات المتراكمة على الدولة والمُقدرة بنحو ألفي مليار ليرة. «وإلّا فإنّ بين 20 إلى 25 مُستشفى منها تتجه إلى الإقفال»، وفق ما صرّح لـ«الأخبار»، أول من أمس، رئيس اتحاد المستشفيات العربية النائب فادي علامة.

وفيما كان متوقعاً أن يقفل مُستشفى سيدة لبنان خلال الـ 15 يوماً المُقبلة، كان لافتاً أن يصدر عن إدارته، أمس، بيان يُعلن إقفال كافة الأقسام الاستشفائية «بسبب الأوضاع الاقتصادية والمالية التي تعانيها البلاد منذ سنوات»، واعدةً العاملين باستئناف العمل معهم «في حال سمحت الظروف لممارسة أعمال المستشفى مُجدّداً».

ناقل COVID-19 يعيد الانتشار

جود حيدر *

تلازم «الناقل» الجوّال مع الإنسان كيد ثالثة وضرورة تعقيمها، لم يفقد الحيثية الذاتية للجوّال لجهة عدم مراعاة التباعد الاجتماعي كونه ينفصل عن الإنسان لمسافة أقلّ من طول اليد، ولجهة دوره الفعّال في إعادة الانتشار. إلا أن الكشف عنه بصفته الناقل (Vector) فتح النقاش على المدلول الوبائي لقدرة هذا الناقل على نشر الفيروس بأسرع من سرعة انتقاله عبر الهواء، وضرورة التصدي له لمنع الانتشار. ويفتح هذا باب الأسئلة حول أمور عدة، منها سبب تردّد منظمة الصحة العالمية في إعلان COVID-19 وباءً عالمياً، وهل ذلك لأن الصين لم تكتشف سبب تفشي الفيروس أم أنها تعرفت إلى ناقل وأبقته طي الكتمان؟ وهل إعلان خلوّ الصين الطبيعية من الوباء، سببه تحقيق نسبة عالية من الفحوصات، علماً أن السلطات الصينية قطعت، أثناء الانتشار، عن منطقة يوهان كل وسائل التواصل مع محيطها الخارجي، أم أن قطع الجوّال كلياً داخل منطقة العزل لعب دوراً أساسياً في بتر «Stemming» الانتشار؟

الجميع يتحدث عن الاحتواء، بعد الوصول الى ذروة الانتشار، ولكنّ قليلون يفقهون التمييز بين الاثنين لأن العملية ذات ديناميكية تدرّجية قبل الوصول إلى الانتشار. ولا أحد يعلم مدى تأثير التأخر أسبوعاً واحداً (معدل فترة حضانة الفيروس) على ما قد يحدث وبأيّ تسارع. بالتالي، هناك ضرورة لحصر الدينامية في مفصلين: الأول تحديد المرحلة (احتواء ام انتشار)، والثاني بتر الانتشار (التباعد الاجتماعي وناقل العدوى). المفصل الأول، يتطلب وضع آلية جمع معلومات تستند إلى طبيعة تكاثر الفيروس (مدة الحضانة) بمعنى القدرة على العدوى، وإلى «فترة التعافي» بمعنى عدم العدوى. وبالتالي، يجب أن تستند أي عملية إحصائية هادفة لتحديد هذا المفصل إلى معدل الحضانة (أسبوع) ومعدل التعافي (أربعة أسابيع). والمفصل الثاني، يتطلب بالدرجة الأولى تحديد الناقل (يد الإنسان) وبالدرجة الثانية تحديد الحجر والعزل (المعاينات والفحوصات). بغير هذه القواعد، لا يمكن الاستناد إلى أيّ عملية إحصائية حتى تلك المعتمدة من قبل WHO وIBM، وهذا الجزء يعني أهل الاختصاص، ويتطلّب نقاشاً. (ربط آلية إحصائية لكامل نتائج لبنان المثبتة من قبل وزارة الصحة العامة ومستشفى رفيق الحريري الجامعي كمختبر مصنّف من WHO لمن يرغب في التدقيق).

من هذا المنطلق، يعود الناقل بعد أسبوع من الحضانة ليقول: هل تمكنتم من بتري أم أنني أنتشر أو أعيد الانتشار؟ ومن هنا، برز مصطلح إعادة الانتشار، وفشل التباعد الاجتماعي، ونقاش العمليات الإحصائية. ولم يلتفت أحد إلى أن احتسابها يستند إلى 9 أيام وليس إلى 7 أيام (معدل فترة الحضانة). وهنا يكمن مفهوم إعادة الانتشار الحقيقي والمزيّف، والسبب الحقيقي وراء توسيع مسافة التباعد الاجتماعي (تحديد الناقل الجوّال). والتشكيك في مصداقية استنتاجات الوسائل الإحصائية وما هو صالح للاعتماد من المؤشرات النسبية وغيرها مما هو ثابت ومتغيّر، وإلخ.

ولضيق المجال، سأتطرق فقط إلى مسألة «Test Test Test» في مرحلة الانتشار، ومسألة «الجهوزية» في مرحلة الاحتواء لحراجتها في القرارات الاستراتيجية في مواجهة الوباء، إذ لا يجوز اعتماد الآليات نفسها في مرحلتين مختلفتين من حيث الإمكانات على تحقيق الهدف والتأثيرات السلبية لكل إجراء.

في ما خصّ مرحلة الانتشار، لا يوجد تأكيد على أن التجربة الصينية اعتمدت فقط على إجراء «Test Test Test». رغم ذلك، ومن الناحية النظرية، لا يمكن نفي إمكانية الاستحواذ على ذروة الانتشار في كبح الانتشار، شرط توافر الوسائل والإمكانات اللوجستية، وشرط عدم وجود عامل غير محتسب قد يؤثر أو يفعّل عملية إعادة الانتشار. أوّليس الأجدر البحث عن عامل انتشار فاعل مثل الخلوي (أي القاطع) لهذا الانتشار من جذعه «Stemming»؟ أضف إلى ذلك التأثيرات السلبية على الجسم الطبي والجسم المساعد والقوى الأمنية المواكبة.

وفي ما خصّ مرحلة الاحتواء المحصورة في بعض الدول المحدودة، ومثلها الصارخ لبنان وبالأرقام، حيث إن فريق عمل مستشفى رفيق الحريري الجامعي مع فريق عمل وزارة الصحة وبالتنسيق مع منظمة الصحة العالمية كان دائماً منذ عام 2006 يعمل على تقصّي الوباء، وقد بادرت مجتمعة وبتوصيات المنظمة للبدء المبكر بالتقصي قبل ورود أول حالة بعدة أيام. هذه هي الجهوزية التي تعتمدها WHO في ما خصّ الاحتواء، ومنع الانتشار لكل الأوبئة الموسمية والطارئة كما حالنا الآن في لبنان، حيث تكون الحاجة إلى زيادة الفحوصات مرتقبة ولا حاجة إلى أي فحوصات عشوائية كما مدلول اسمها. (أمثلة لدول مماثلة للبنان: فيتنام، تايوان وجنوب كوريا)

الخلاصة: ماذا لو اعتمدنا الجوّال «ناقلاً لإعادة الانتشار» وراقبنا إحصائياً بتره (Stemming) ولمدة أسبوع (معدل فترة الحضانة)، واعتمدنا من الأسبوع اللاحق ولمدة ثلاثة أسابيع (أربعة أسابيع معدل فترة التعافي) من تتبّع الانتشار والعمل فقط على حفظ الأرواح ومراقبة تهاوي الأرقام وانتهاء الوباء، لربما تعلّمنا من هذا الوباء الذي من الأرجح أن لا يتكرر مطلقاً، بعد تقصّي مصدره من حريق غابات أستراليا وأثرها الإيكولوجي الكبير على ظهور الأوبئة، ومثلها هجرة الوطواط وغيره من الحيوانات. وتعلّمنا أن نحتسب لكل أدوات عصرنا الحديث (التواصل)، بسلبياتها وإيجابياتها، ومثلنا هنا الناقل الجوّال الذي يستدعي مراقبة تأثيره كمتغيّر متخفٍّ (Confounding Variable) قادر على تغيير الاستنتاجات في دراسة كل الأمور الوافدة والمتكرّرة وذات الصلة الوثيقة بالإنسان.

* **اختصاصي مختبرات وأوبئة**

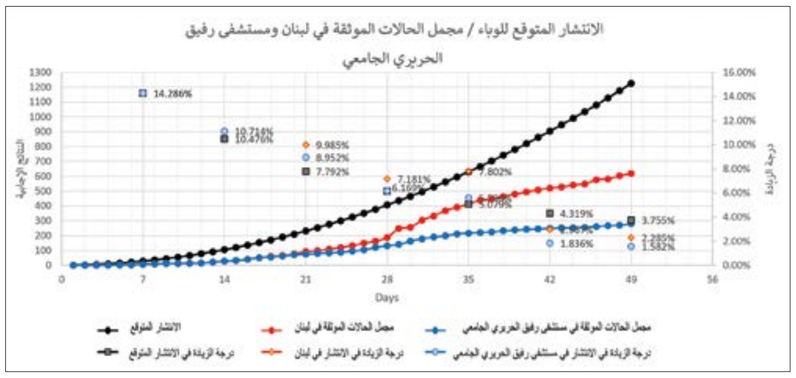

وجهة نظر

تمرّد العلم أم ماذا؟

إسماعيل سكرية *

ذهب العلم بعيداً عن أهدافه الإنسانية بقيمها وأخلاقياتها، بعدما اختطفته آلهة المال وأباطرته ووحوشه، واستخدموه في إطار مخططاتهم الجهنمية التي لا تعرف حدوداً للعجرفة والفجور والجشع والإجرام. وأكثر ما تمثّل ذلك في التخطيط للسيطرة على الكرة الأرضية، بشراً وثروات، وتخفيض عدد السكان... ولا نتحدث هنا عن أسلحة تدمير نووية وغيرها، بل عن أسلحة تفتك بالصحة البشرية، غذاءً ودواءً وماءً وهواءً وتلوّثاً، والتركيز أخيراً على السلاح البيولوجي -الجرثومي ومنابر أبحاثها المدفوعة الأجر بقيادة الحلف العائلي الثلاثي روتشيلد - روكفلر - مورغان.

بدأت رحلة الأمراض والموت وإفقار الشعوب مع هذا التحالف بداية القرن الماضي، وبدأ العلم ينحني أمام جبروته المالي المطوّع للقرار السياسي والتشريعي والإعلامي. وتكتفي بالأنموذج الأكثر صلفاً وبشاعة بما حدث مع البروفيسور Arpad Pusztai العالم المبدع في علم الجينات، بخاصة «التعديل الجيني الزراعي»، إذ طُرد من عمله في مؤسسة Rowette للأبحاث، وصودرت أبحاثه ودراساته، ومُنع من التواصل مع الإعلام وزملائه، بقرار شارك فيه الرئيس الأميركي بيل كلينتون ورئيس وزراء بريطانيا طوني بلير والجمعية العلمية الملكية... والسبب، رفضه التعديل الجيني للبطاطا بعد اكتشافه، عبر تجارب ودواءً وماءً وهواءً وتلوّثاً، والتركيز أخيراً على السلاح البيولوجي -الجرثومي ومنابر أبحاثها المدفوعة الأجر بقيادة الحلف العائلي الثلاثي روتشيلد - روكفلر - مورغان.

أما العنوان الأخطر في ما نتحدث عنه، فقد جاء في خطة هنري كيسنجر NSSM 200 التي وضعها عام 1970 كمستشار لمؤسسة روكفيلر ووقّعها الرئيس فورد عام 1975، حين تسلّم الأول وزارة الخارجية الأميركية. وصلب فلسفتها، استخدام الغذاء سلاحاً بهدف خفض العدد السكاني واضعاً 13 دولة هدفاً (منها بنغلادش والهند ومصر ونيجيريا والبرازيل وكولومبيا...)، وحُفظت تحت عنوان «سري جداً». وبتغطية من الـCIA ووكالة التنمية الأميركية USAID، بدأ التنفيذ في البرازيل، الجار الأضخم سكانياً والمتنامي القوة، حيث تم تعقيم 44% من نسائها بين 14 و55 عاماً حتى عام 2000، و90% من النساء الأفريقيات الوافدات (Seeds of Destruction). وانتقل بسلاح الهندسة الجينية الزراعية إلى الأرجنتين والعراق والهند، مسبّباً - ولا يزال - ارتفاعاً في نسبة الولادات المشوّهة وأمراض السرطان.

أما دور شركات الدواء في هذا الاتجاه، من أدوية ملاريا وسيدا غير فاعلة في أفريقيا، وتلويث لقاحات الأطفال بمواد معدنية (زئبق وألمنيوم) ومواد تعقيمية ومسرطنة بحجة تسريع إنتاجها، من دون الاكتراث بمفاعيلها، والتي دوّت أخيراً باتهام السيناتور روبيرت كينيدي لرجل الأعمال بيل غيتس بتمويلها فلها حديث آخر.

في هذا المناخ الإجرامي وسياقه التراكمي، ظهر فيروس «كورونا» فجأة، متحرّراً من سجن مختبره البيولوجي مزلزلاً الكرة الأرضية وساجناً بشرها في المنازل وكأنه يثأر لكرامة العلم من مستغلّيه... أو ربما أطلق عمداً لاستكمال تراكم مفاعيل ما تقدّم من مخططات. قد يسأل كثيرون: كيف ذلك والغرب يدفع الثمن الكوروني الأكبر؟ الجواب يتطلّب الانتظار ومراقبة نسبة أعمار المتوفين من المسنّين الذين يعتبرهم النظام الرأسمالي عبئاً اقتصادياً (عدا ألمانيا بعصبيتها القومية واقتصادها القوي)، كما نسبة المصابين من المهاجرين! ما زالت مفاعيل «كورونا» في بداياتها، فلننتظر لنستطيع الإجابة!

* **رئيس هيئة «الصحة حق وكرامة»**

على الغلاف

اتحادات لجان الأهل: سندفع 50% من الأقساط

فاتن الحاج

أبلغ تجمّع اتحادات لجان الأهل في المدارس الخاصة وزير التربية طارق المجذوب أنّ الأهالي «لن يدفعوا أكثر من 50% من القسط المدرسي»، وأن التعليم عن بعد «خدمة لا تمرّك مبالغ إضافية كونها تجربة لا تنال رضى جميع الأهالي ولا تطاول جميع الطلاب». ودعا التجمع إلى إصدار تعميم يمنع إدارات المدارس من تهديد التلامذة الذين لم يدفع أهاليهم القسط، وإلزامها تقديم ملاحق للموازنة المدرسية مع جدول أقساط مخفّض والتدقيق في شفافية الموازنات. وفي السياق، علمت «الأخبار» أن مصلحة التعليم الخاص تعدّ مشروع اتفاق

> التعطيل خفّض الموازنة لأيّ مدرسة بحدود 40 إلى 50٪

لإعفاء الأهالي من 35% من القسط، أي النسبة المتعلقة بالمصاريف التشغيلية في الموازنة.

وكان المجذوب أرجأ النقاش في السيناريوهات بشأن العام الدراسي إلى الأسبوع المقبل، وبحث أمس مصير الأقساط المدرسية ورواتب المعلمين ومستحقات المدارس شبه المجانية مع ممثلي الأهالي والمعلمين وأصحاب المدارس.

وفيما أشار نقيب المعلمين رودولف عبود إلى أن أيام التدريس الفعلي قبل التعطيل القسري تراوحت في معظم المدارس بين 90 يوماً و106 أيام وبلغت في بعضها 77 يوماً، أكدت رئيسة اتحاد لجان الأهل وأولياء الأمور في المدارس الخاصة لما الزين الطويل أن «العدد لم يتجاوز 75 يوماً في أيّ من المدارس، وبقي نحو مئة يوم تدريس فعلي لم تنجز، وليس 45 يوماً كما يشيع أصحاب المدارس الخاصة».

عبود رأى أن المعلمين «يقومون بكل واجباتهم ويجب أن ينالوا مستحقاتهم كاملة وليس فقط أساسات الرواتب، وليس لديهم ما يتنازلون عنه إذا كان بعضهم لا يقبض أو يتقاضى 30% من راتبه»، مشيراً إلى أنه طلب شخصياً من الأساتذة الذين لا يحصلون على رواتبهم أن يقاطعوا التعليم عن بعد. ودعا وزارة التربية الى دفع منح المدارس المجانية، والأهالي الى دفع «ما تيسّر» من القسط والمدارس إلى أن تسعى مع جمعياتها للحصول على قرض مصرف لبنان.

الطويل أوضحت أن هناك 35 مدرسة خاصة من أصل 1300 تطبق التعليم عن بعد بشكل فعلي، مؤكدة أن اتحادات لجان الأهل «تدعم إعطاء أساسات رواتب المعلمين كاملة. لكن الأهالي لن يكونوا مكسر عصا لأحد». وكان تجمع لجان الأهل سلّم الوزير كتاباً طالب فيه بمراجعة موازنات المدارس الخاصة لعام 2019 - 2020، وبخفض الأقساط باعتبار أن القانون 515 /1996 «واضح لجهة السقوط الجزئي للموجب الملقى على الأهالي في ما يتعلق بإيفاء القسط المدرسي كاملاً وذلك تبعاً لعدم التنفيذ الجزئي الناتج عن القوة القاهرة لموجب تعليم التلامذة بصورة أكاديمية الملقى على عاتق المدارس».

كذلك فإنّ التعطيل المستمر للمدارس لفترات طويلة منذ انتفاضة 17 تشرين وصولاً إلى أزمة كورونا، أسقط، بحسب التجمع، الكثير من النفقات المسجلة في الموازنة المدرسية. «وإذا كانت المدارس لا تزال تطالب بالأقساط كاملة، ولو بدفعات ميسّرة، مستندة إلى حقّ المعلمين/ت بالراتب الكامل، فهي تتناسى أنه بفعل الإقفال المستمر لم يعد يستحق للعاملين في المدارس وأفراد الهيئات التعليمية والإدارية بدل النقل عن أيام التعطيل الكثيرة، أو أيّ ساعات إضافية، أو مكافآت، أو ساعات تعليم خارج النصاب، كما تتناسى أن النفقات التشغيلية مثل التدفئة والكهرباء والماء والطاقة والتنظيف والصيانة والتجديد والتطوير وغيرها قد تقلّصت بشكل كبير ووازن ولم يعد حجمها يعبر عمّا كان مقدّراً في الموازنات المدرسية المودعة وزارة التربية». وأظهرت دراسة أعدّتها المنسّقية المالية في الاتحاد أنّ الموازنة الاستثنائية وحذف البنود والمصاريف التي انتفت بحكم التعطيل تخفّض الموازنة الحالية لأيّ مدرسة بحدود 40 إلى 50% بحسب المدرسة، ويبقى قسم له صفة المؤجّل كاشتراكات الضمان والتعويضات، يُدفع في حينه. وبحسب الدراسة، فإنّ نسبة تقارب 100% من الأهالي سدّدوا نسبة 10% من القسط الحالي نهاية السنة الماضية لضمان تسجيل أولادهم في المدرسة، ونسبة تتراوح بين 70 و80% سدّدت القسط الأول كاملاً، و10% على الأقل سدّدت القسط الثاني، و5% سدّدت القسط كاملاً، كما تبيّن للمنسقية المالية في الاتحاد أن جزءاً ليس بقليل من أولياء الأمور ونسبتهم 30% هم من موظفي القطاع العام والقضاة أو ينتمون إلى أحد أسلاك القوى الأمنية والعسكرية وغيرها من الإدارات ويستفيدون من منح تعليمية ستدفعها لهم الدولة أو تحولها مباشرة إلى المدرسة. هذه الإيرادات كلها تؤمّن، كما تقول المنسقية، مؤونة نقدية تصل إلى أكثر من 60 - 70% من الموازنة الكاملة التي على أساسها يُدفع القسط وهي تغطي كلّ المصاريف السنوية للموازنة التقشفية.

35 مدرسة خاضة من اصل 1300 تطبق التعليم عن بعد بشكله فعلي (أ ف ب)

وبحسبة بسيطة، خلصت المنسقية إلى أن «المدارس الخاصة لديها مؤونة نقدية تكفي لدفع رواتب أفراد الهيئات التعليمية والإجراء فيها لمدة 12 شهراً من دون الحاجة إلى اقتطاع رواتبهم. وبناءً عليه، فإنّ تحميل الأهالي وأولياء الأمور كامل القسط المدرسي مخالف للقانون والمبادئ القانونية والمنطق القانوني السليم في ظل عدم حصول أولادهم على كامل حقهم من خدمة التعليم التي يتوجّب على المدرسة تأديتها، كما تكون الموازنات المقدّمة إلى الوزارة أصبحت غير واقعية ومخلّة بمبدأ التوازن بين النفقات والأقساط المدرسية لجهة أن الأقساط أضحت تفوق بكثير النفقات المقدّرة، وأصبحت بالتالي هذه الموازنات تستوجب التعديل».

علاج «كورونا»... نفسيّ أيضاً

رحيل دندلان

الاستجابة النفسية لتداعيات فيروس «كورونا» على القدر نفسه من الأهمية للاستجابة الصحية الهادفة إلى الحدّ من تفشّي الفيروس وانتشاره. فالصحة النفسية جزء لا يتجزأ من الصحة العامة. ولئن كانت الأولوية الآن هي الحفاظ على صحة الناس، إلا أن ثمّة جانباً لا يقلّ أهمية يتمثّل في الصحة العقلية والنفسية. وبسبب هذا الترابط بين

> دراسات علمية تحذّر من خطر ارتفاع نسب الانتحار في الأشهر المقبلة

«الصحتين»، كان البرنامج الوطني للصحة النفسية الذي وضعته وزارة الصحة، باعتباره «جزءاً أساسياً من الخطة الوطنية للاستجابة لفيروس كورونا المستجد»، بالتعاون مع منظمتَي الصحة العالمية و«يونيسيف».

بحسب منسّقة سياسات الصحة النفسية في البرنامج، نور كيك، تنطوي الخطة على أهداف عدة تتمثّل في تعزيز الصحة النفسية والتخفيف من الضغوطات المرتبطة بالفيروس وضمان الوصول إلى المعلومات الموثوقة. ويندرج ضمن الهدف الأخير الخطّ الساخن 1564 للدعم النفسي والوقاية من الانتحار، بالتعاون مع جمعية إمبرايس (Embrace)، والذي يهدف إلى تقديم «المساعدة النفسية» إلى المحجورين صحياً في المستشفى أو في المنزل وإلى أسرهم، وأيضاً إلى العاملين الصحيين. منذ وُضع الخط في الخدمة قبل نحو ثلاثة أسابيع، وصل عدد الاتصالات إلى نحو 500، وهو رقم يزيد بمعدل 150 اتصالاً عن الفترة نفسها قبل الـ«كورونا». مع ذلك، تُعتبر هذه «زيادة طبيعية في ظل ظروف غير طبيعية يمرّ بها المجتمع»، تقول ميا عطوي، المعالجة النفسية وإحدى المؤسسات لـ«امبرايس». مع ذلك، تعتبر عطوي أن ثمة قدرة «للفرد على التأقلم مع التغيّرات التي نعيشها بسبب أزمة كورونا أو الأزمة الاقتصادية، والأمر يعتمد بشكل كبير على البيئة التي يعيش فيها الفرد». ولذلك، تختلف الاستجابة من شخص إلى آخر. على أن التأثير الأكبر يظهر «على من كانت ظروفهم أكثر هشاشة قبل كورونا. ومن كانوا يختبرون صعوبات ومشاكل نفسية، إضافة إلى من يعانون الوحدة بغير اختيارهم ومن لديهم استعداد جيني وبيولوجي وبيئي، وكبار السن، ومقدّمي الرعاية الصحية لما يتعرضون له من ضغط، إضافة الى النساء والأطفال الذين يعيشون في وسط مضطرب وعنيف». رغم ذلك، تشدّد عطوي على عدم الاستعجال في تصنيف ردات الفعل باعتبارها مرضية، «فكثير من ردات الفعل طبيعية نتيجة الوضع ولا تندرج ضمن الخانة المرضية». من هنا، «ضرورة التمييز بين المرض النفسي وبين الضغط والتعب النفسي والذهني - وهي مشاعر طبيعية - نتيجة اضطرارنا اليومي للتعامل مع الضغوطات الحياتية». لكن، الخوف هو أن تستحيل تلك المشاعر الطبيعية أزمة نفسية، إذ أن هناك «دراسات في الغرب تتحدث عن خطر ارتفاع العوارض النفسية وحتى نسب الانتحار في الأشهر المقبلة». ويبدو أن المسار في لبنان غير مطمئن لهذه الناحية باعتبار أن «لا صحة نفسية من دون وجود أدنى مقوّمات الحياة وعدالة اجتماعية وطبابة وتعليم وسكن». والافتقار إلى هذه المقوّمات يزيد من الصعوبات والمشاكل النفسية، وقد تزيد معه حالات الانتحار. وهنا، يبرز الضغط الجماعي الذي يعيشه اللبنانيون عموماً «وهو يمثل ردة فعل طبيعية على خسارتنا الشعور بالأمن والأمان والانتماء إلى وطننا نتيجة سياسات السلطة التي تضطهدنا وتحرمنا حقوقنا الأساسية. وهذا علاجه يكون جماعياً مبنياً في هذه المرحلة على التكافل والتضامن الاجتماعي وتكامل الأدوار». أما على الصعيد الفردي، فيبقى الإنسان في هذه الظروف، بحسب عطوي، القلق من المجهول، «وعادة لا يتعامل معه بطريقة جيدة نتيجة التربية في المجتمع الحديث المبنية على محاربة القلق النفسي من خلال الحركة الزائدة والهوس بالإنتاجية والشعور بوجوب الانشغال دائماً واستخدام الإنتاجية لنزيد ثقتنا في أنفسنا». وتضيف: «وضعتنا أزمة كورونا وجهاً لوجه مع أنفسنا ومع الموت وهذان أمران نهرب منهما ومن أسئلتهما دائماً». لذلك، «من المهم أن يجلس كلّ منا إلى ذاته ويفكر كيف يتعامل مع المجهول، ويفكر أن لا ثابت في هذه الحياة سوى التغيير الذي يحصل دائماً، ويتقبّل حقيقة أن هناك أشياء يجب أن يعيشها كما هي من غير أن يكون قادراً على التحكّم بكل ما له علاقة بمستقبله». وعملياً، ثمة طرق للتعامل مع المجهول يوصي بها كثير من الاختصاصيين النفسيين كخلق روتين للحياة بدائي يلبي متطلبات الإنسان الأساسية من النوم والأكل والدعم النفسي والمعنوي الذي يتلقّاه من الناس المهمّين في حياته. ومن جهة أخرى، يتعيّن أيضاً الالتفات إلى «أن لكل فرد طريقة مختلفة للتأقلم مع الظروف العصيبة وخصوصاً المحجورين في المنزل نفسه، فالبعض يريحهم التواصل مع الآخرين، فيما آخرون يحتاجون إلى أن يكونوا وحدهم لفترة معيّنة». من هنا «ضرورة احترام حاجات الآخر ومشاعره». والنصيحة الأخيرة: الحدّ من متابعة الأخبار لأنها تزيد من حدّة القلق والتوتر.

الافتقار إلى العدالة الاجتماعية والطبابة والتعليم والسكن يزيد من المشاكل النفسية (أ ف ب)

علاقة خفيّة بين الجيل الخامس و«كوفيد ـ 19»؟

علي حمية *

يُتوقع أن يصل عدد الأجهزة الموصولة بالإنترنت، حول العالم، إلى 50 ملياراً في أيّ وقت بدءاً من عام 2025، وأن تتضاعف الزيادات المتوقّعة في الحركة بما يقارب 100 مرة خلال 10 سنوات. الوصول إلى ذلك يتطلب ابتكار تكنولوجيات عدة، منها تكنولوجيات الجيل الخامس التي تقوم بتوصيل الأشخاص والأشياء، والبيانات والتطبيقات وأنظمة النقل والمدن في بيئات اتصالات ذكية. وهي قادرة على نقل كمية هائلة من البيانات بأسرع بما لا يقاس مما وفّره الجيل الرابع مع زمن تأخير أقلّ.

تستخدم شبكة الجيل الخامس بعض نطاقات التردّد نفسها التي استخدمتها الأجيال السابقة كالجيلين الثالث والرابع من الشبكات اللّاسلكية، إضافة إلى استعمال نطاق تردّدات عالية ذات موجات ميليمترية لا يمكنها اختراق العقبات كالجدران أو أوراق الأشجار، مثلاً. لهذا، تتطلّب هذه الترددات أجهزة راديو في كل الأمكنة وأضعافاً مضاعفة من البنية التحتية، مقارنة بعمليات نشر الجيلين الثالث والرابع، وهذا يفرض - تالياً - وجود كمّ هائل من الهوائيات الصغيرة في الأحياء السكنية، لا بل تثبيتها على أعمدة الإنارة وإشارات المرور والأسطح والجدران وغيرها. وهو ما يجعل السؤال مبرّراً: هل يخلّف الطيف العالي التردد المعروف بأطوال الموجات الميليمترية المستخدمة في الجيل الخامس آثاراً صحية على البشر؟

الإجابة تفرض التوقّف مطولاً عند تجربة مدينة ووهان الصينية مع الجيل الخامس والفيروس التاجي. في مطلع تشرين الثاني الماضي، نشر موقع «بي بي سي» تقريراً تحت عنوان «الصين تطرح واحدة من أكبر شبكات الجيل الخامس في العالم». بعدها، كرّت سبحة التقارير التي أجمعت في معظمها على أن ووهان واحدة من أول الأماكن التي خضعت لتجارب الجيل الخامس، قبل أن يتبعها عدد من المدن الصينية الكبرى مثل بكين وشنغهاي. بعد أقلّ من شهرين، بدأت معاناة ووهان مع انتشار الفيروس التاجي وتحوّلت إلى بؤرة انتشاره الأولى. وما يثير القلق هنا، أيضاً، أن الصين بدأت، منذ تشرين الثاني الماضي، بتركيب تقنيات الجيل الخامس في مستشفياتها. وهي أتت في نهاية العام الماضي نشر 130 ألف محطة بثّ في كل أنحاء البلاد، منها 10000 في ووهان وحدها، وهو ما يعادل عدد المحطات في كلّ الولايات المتحدة.

ووهان كانت السبّاقة في تجربة تقنية الجيل الخامس، وكانت الحاضنة الأولى لفيروس «كورونا». فهل من رابط بين هذه التقنية وظهور الفيروس؟ أو بتعبير آخر، هل تقنيات الاتصالات، ولا سيما الجيل الخامس، مضرّة بالإنسان؟

في نيسان من العام الماضي، أوقفت الحكومة البلجيكية اختبار تقنية الجيل الخامس في بروكسل بسبب مخاوف من أن إشعاعات محطات البث قد تكون ضارّة. وطالب أعضاء البرلمان الهولندي حكومتهم بمزيد من الدراسات حول التأثير الصحي لشبكة الجيل الخامس. كما اتخذت سويسرا إجراءات لرصد تأثير هذه التقنية على البشر. علماً أن منظمة الصحة العالمية صنّفت، عام 2011 ، إشعاعات الترددات الراديوية على أنها «من المحتمل أن تكون مسرطنة للبشر». في هذا الشقّ بالذات، وبما أن الجيل الخامس يستخدم نطاق ترددات عالياً جداً مقارنة بما سبقه، فالأرجح أن دائرة الخطر ستتمدّد، وخصوصاً أنه يحتاج إلى أعداد هائلة من محطات البثّ والهوائيات وإلى طاقة عالية. مجرد الشكّ هنا، يستوجب على الأقل اختبار سلامة استخدام أطوال الموجات المليميترية في الجيل الخامس على الإنسان قبل التسابق العالمي لنشرها. وهذا ممكن، وخصوصاً أن هناك تقنيات متعددة، منها تلك التي تستخدمها لجنة الاتصالات الفيدرالية الأميركية منذ عام 1996 وتُعرف باسم Specific Absorption Rate SAR (معدل الامتصاص النوعي) وهي وحدة قياس لمقدار طاقة التردد اللاسلكي التي يمتصّها الجسم عند استخدام هاتف محمول. فهل جرى تحديث التوصيات حول مستوى SAR ومعايير سلامة الهواتف من قبل لجنة الاتصالات الفيدرالية بناءً على أحدث التقنيات اللّاسلكية المستعملة الآن، وخصوصاً مع الجيل الخامس؟

ناقش الدكتور مارتن بال، أستاذ الكيمياء الحيوية في جامعة ولاية واشنطن، الآثار البيولوجية والصحية الناتجة عن الجيل الخامس، مشيراً إلى أن «المبادئ التوجيهية الحالية للجنة الاتصالات الفيدرالية الأميركية غير كافية، وعفا عليها الزمن، لصالح صناعة الاتصالات». يعتقد الأخير أيضاً أنه قد تكون هناك «آثار سيئة كبيرة على المدى الطويل بعد تنفيذ الجيل الخامس مثل العمى وفقدان السمع وسرطان الجلد والعقم لدى الذكور ومشاكل الغدة الدرقية».

واستناداً إلى تقارير لمنظمة الصحة العالمية، أيضاً، لا جدال في أن المجالات الكهرومغناطيسية فوق مستويات معينة يمكن أن تؤدي إلى تأثيرات بيولوجية. ويتمحور الجدل الحالي في المنظمة حول ما إذا كان التعرّض المنخفض المستوى على المدى الطويل يمكن أن يؤثر على الإنسان. في هذا الإطار، قال الدكتور إيريك فان رونجن، رئيس اللجنة الدولية للحماية من الإشعاع غير المؤين (ICNIRP)، إن تقنيات الجيل الخامس «لن تكون قادرة على التسبّب في ضرر عندما يتم الالتزام بالإرشادات الجديدة». وهذا ما يدفع للتساؤل حول ما إذا كان تم الالتزام بالإرشادات في عملية التجارب واستعمال الجيل الخامس في مدينة ووهان؟ وهل الإرشادات الجديدة كانت مستعملة قبل تلك التجربة؟ ولماذا لم يعلن عنها بداية العام الماضي عندما كان الجيل الخامس قيد التجارب؟

من المؤكد أن الجيل الخامس هو المستقبل. لكن، على الأرجح، سيكون ذلك على حساب صحتنا على المدى الطويل. هذه التقنية المتقدّمة، إنما غير المختبرة أقلّه حتى الآن، تقترب بسرعة. وهناك شيء واحد يجب أن نفعله جميعاً وهو تشجيع البحث والابتكار المسؤول الذي يأخذ في الاعتبار الآثار المحتملة على الإنسان والبيئة. وقبل أن نجعل منازلنا وشركاتنا ومدننا «ذكية»، من المهم اتخاذ قرارات «ذكية» عند اعتماد التكنولوجيا الجديدة، وبذكاء، وخصوصاً أن إمكاناتنا بسيطة وحاجاتنا أقلّ.

* مستشار في لجنة الإعلام والإتصالات النيابية

عدد محطات الجيل الخامس في ووهان الصينية وحدها يعادل عدد المحطات في كلّ الولايات المتحدة (أ ف ب)

على الغلاف

(أ ف ب)

ربع الإصابات العالمية... أميركية

بحلول مساء يوم أمس، تجاوز العدد الإجمالي لضحايا فيروس «كورونا» 130 ألف وفاة، أكثر من ثلثيها في أوروبا. وفي المجموع، بلغ عدد إصابات الوباء ما يزيد على مليونَي إصابة، 623 ألفاً منها في الولايات المتحدة وحدها، حيث وصل عدد الوفيات إلى حوالى 28 ألفاً، بعد تسجيل أكثر من 1,500 وفاة جديدة، تليها إيطاليا (21645 وفاة)، وإسبانيا (18579)، ثم فرنسا (17167).

(الأخبار)

اقتراح في الكونغرس للسماح لضحايا «كورونا» بمقاضاة الشيوعي الصيني

ترامب يحارب بكين بـ«الصحة العالمية»!

يشكّك دونالد ترامب، كما غيره من كائنات بني البشر، بالبيانات والأرقام الرسمية الصينية الخاصة بفيروس «كورونا». والشكّ عند الشاكّ، سلوكٌ عقلي بديهي. لكن الرئيس الأميركي لا يركن، طبعاً، إلى سلوكه البديهي، بل يسعى، منذ بدء تفشّي الوباء خارج إقليم خوباي، إلى إلقاء المسؤوليّة على الدولة التي «صدّرت» الوباء، اعتقاداً منه بأن العثور على «كبش فداء» سيحدّ من انتقادات كثيرة تطاول طريقة تعاطيه مع الأزمة الوبائية، وتؤثّر، بصورة أكبر، في احتمال خسارته لقب الرئيس لدورة ثانية. اشتغاله على تكريس مفهوم «الفيروس الصيني» لم يلقَ رواجاً، إلا ضمن فريقه الضيّق من الموالين، وأوّلهم وزيره المخلص مايك بومبيو. على أيّ حال، تجاوز ترامب الشكّ إلى اليقين بأن الصين «تكذب»، وأن هناك مَن عاونها. واعتبر أن في إمكانه «محاسبتها». محاسبةٌ ستجرى هذه المرّة عبر أداة ليست إلّا... منظمة الصحة العالمية.

لا يستطيع ترامب التعايش مع فكرة المنظّمات (أو الاتفاقات) المتعدّدة الأطراف. باكراً، كرّس الرئيس الأميركي سياسة الانسحابات المتتالية من: اتفاق باريس للمناخ، الاتفاق النووي الإيراني، اتفاقات التجارة المتعددة الأطراف (تبعتها حرب جمركية على الصين)... أوقف تمويل وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)، وانسحب من المجلس العالمي لحقوق الإنسان، وهدد مرات عدة بالانسحاب من منظمة التجارة العالمية لأنها «تحابي الصين على حساب الولايات المتحدة»، وأخيراً قرّر تعليق مساهمة بلاده المالية في منظمة الصحة العالمية، ما أثار موجة تنديد دوليّة. قرارٌ، إذا استطعنا تجاوز توقيته السيئ وبعض تبعاته، من شأنه أن يحرّر المنظمة من التبعية لأكبر مساهمٍ في تمويلها. إذ

> **بلغت مساهمة أميركا في موازنة المنظمة في 2018 ــ 2019 أكثر من 800 مليون دولار**

تشكّل حالة التمويل، في حدّ ذاتها، إحدى العقبات الرئيسية التي تحول دون استقلالية المنظمة التي يستند تمويلها إلى «الاشتراكات المقدّرة» من الدول الأعضاء، والمخصّصة لاستمرار الوظائف الأساسية فيها أولاً، والمساهمات الطوعية من الجهات المانحة ثانياً. على هذه الخلفية، تقترح إيزابيلّا كامينسكا في تقرير لصحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية، إنشاء «نظام جديد» غير مسيّس، يركّز على الحياد والخصوصية، من أجل طمأنة المواطنين الذين يخشون من انتشار معلومات تؤثر على خصوصيتهم، والحكومات التي لا تثق في تأثير الجهات المانحة الخاصة وغيرها من المساهمين الكبار.

قرار ترامب تجميد تمويل المنظمة إلى حين مراجعة دورها «في سوء الإدارة وإخفاء معلومات حول تفشّي فيروس كورونا»، جاء متسرّعاً ومفاجئاً وخطيراً، كما خلصت غالبية الدول التي علّقت على خطوته الأخيرة. مراجعة سيتقرّر على ضوء نتائجها انسحاب الولايات المتحدة من عدمه. وفي لائحة اتهامية طويلة، اعتبر الرئيس الأميركي أن «العالم تلقّى الكثير من المعلومات الخاطئة حول انتقال العدوى والوفيات» الناجمة عن وباء «كوفيد-19».

وبصفتها أكبر مانح على الإطلاق للمنظمة التي توضع موازنتها كل عامين، بلغت مساهمة الولايات المتحدة في موازنة 2018 ـ 2019، أكثر من 800 مليون دولار، تليها مؤسسة «بيل وميليندا غايتس» الخيرية التي دفعت 229 مليون دولار في 2018 ثم بريطانيا. ولأن الإعلان الأميركي جاء سريعاً وغير مفصّل، لم يتضح ما إذا كانت واشنطن ستجمّد مساهماتها الطوعية أم اشتراكاتها المقدّرة، أم الاثنتين معاً، ولا سيما أن موازنة المنظمة لعامَي 2020 ـ 2021 تبلغ 4,85 مليارات دولار، أي بزيادة 9% عن الموازنة السابقة. كذلك، ليس واضحاً ما إذا كانت واشنطن قد سدّدت بالفعل نصيبها كاملاً من هذه الموازنة، علماً بأنها تدفع، في العادة، اشتراكاتها المقدّرة في وقت متأخر من العام. ومع تعليق المساهمة المالية، في ظلّ تفشّي الجائحة، أبدى ترامب «مخاوف عميقة» حيال ما إذا كان «كرم أميركا» قد استُخدم على أفضل نحو ممكن. وهذه ليست أوّل مرّة يهاجم فيها الرئيس الأميركي المنظمة الأممية التي يتّهمها بالانحياز لبكين والتواطؤ معها في عدم الإبلاغ بشفافية عن الكارثة الصحية التي امتدّت من مدينة ووهان في وسط الصين، إلى العالم. ووفقاً للرئيس، فإن تأخّر الصين في الكشف عن الوباء ونطاقه ومدى فتكه بالبشر كلّف سائر دول العالم وقتاً ثميناً كان يمكن خلاله اتّخاذ إجراءات لوقاية الفيروس في مهده، وإنقاذ آلاف الأرواح، فضلاً عن منع وقوع أضرار اقتصادية عالمية. وعليه، رأى أن «من واجب» الولايات المتحدة المحاسبة! وعلى ذكر المحاسبة، هناك مقترح في الكونغرس يجري التداول به، ينصّ على السماح لضحايا «كوفيد-19» في الولايات المتحدة برفع دعاوى قضائية ضدّ الحزب الشيوعي الصيني في المحاكم الأميركية، على غرار تلك التي رفعها أهالي ضحايا 11 أيلول، على خلفية الأضرار التي لحقت بهم. وفي معرض ردّه على المقترح، شدّد بومبيو على أنه سيتم التدقيق في سجلات جميع الدول، و«بالنسبة إلى مَن يتحملون مسؤولية الخسائر في الأرواح والمأساة التي وقعت هنا في الولايات المتحدة والأضرار الاقتصادية التي تحمّلها العام بأسره، فأنا واثق من أن هذه الإدارة ستمهّد الطريق لمحاسبة الدول والأفراد المسؤولين عن ذلك».

(الأخبار)

تنديد دولي بالقرار الأميركي

لاقى قرار الرئيس الأميركي تجميد تمويل منظمة الصحة العالمية تنديداً دولياً، لكونه وجّه ضربة للجهود العالمية لرص الصفوف في مواجهة الوباء.

المنظمة الدولية، على لسان مديرها تيدروس أدهانوم غيبريسوس، قالت بداية إنه «لا وقت نضيّعه. الشاغل الوحيد لمنظمة الصحة العالمية مساعدة كل الشعوب لإنقاذ الأرواح ووضع حدّ لتفشي فيروس كورونا». وفي مؤتمر صحافي عُقد لاحقاً عبر الفيديو، قال غيبريسوس إن المنظمة «في طور درس تأثير» القرار الاميركي، مشيراً إلى أنها «ستعمل مع شركائها لسدّ أي عجز مالي... ولضمان استمرار عملنا»، فيما أكّد الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، أن «الوقت ليس مناسباً لتقليص تمويل عمليات منظمة الصحة العالمية التي يجب أن تلقى دعماً لأنها أساسية لجهود العالم من أجل كسب الحرب ضد كوفيد-19».

وفي حين اعتبر الملياردير الأميركي بيل غيتس، بصفته مساهماً كبيراً في المنظمة، أن وقف التمويل «خطير جداً»، حذّرت بكين من أن القرار «سيقوّض التعاون الدولي في لحظات حرجة» من الوباء. وفي موسكو، اعتبر نائب وزير الخارجية، سيرغي ريابكوف، أن إعلان واشنطن «يثير قلقاً كبيراً ويعكس المقاربة الأنانية جداً للسلطات الأميركية في مواجهة ما يحصل في العالم». وشبّه وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، تجميد التمويل بحملة «الضغوط القصوى» التي تمارسها واشنطن في حقّ بلاده بعد انسحاب ترامب في شكل أحادي من الاتفاق الدولي حول البرنامج النووي الإيراني. وكتب في تغريدة: «التعليق المخزي لتمويل منظمة الصحة العالمية وسط جائحة سيطلّ عاراً»، بينما اعتبر وزير خارجية الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، أن لا سبب يبرّر قراراً من هذا النوع.

(الأخبار)

تقرير من البنتاغون إلى الإدارة الأميركية في 2017

استعدوا لوباء... ولنقص في المعدّات الطبية!

علي دربج

«التهديد الأكثر ترجيحاً مرضٌ تنفسي جديد (...) مرض إنفلونزا جديد...»، عبارة واردة في خطّة صادرة عن وزارة الدفاع الأميركية، عام 2017، استعادتها صحيفة «ذا نيشن» (The Nation) الأميركية، أخيراً، لتدحض ادعاءات الرئيس دونالد ترامب بأنّ «كوفيد-19» «غافل» إدارته و«كان غير متوقع». في هذه الوثيقة، حذّر البنتاغون من أنّ الولايات المتحدة قد تواجه تهديداً وبائياً، على المدى القريب، مصحوباً بنقص في أجهزة التنفّس والأقنعة الواقية والأسرّة في المستشفيات.

لم تتحدث الوثيقة عن تهديد مُبهم، أو عن وباء غير معروف، بل خصّت بالذكر «مرضاً تنفسياً جديداً»، وذهبت إلى تحديد اسمه في عدد من المقاطع، عندما أشارت، مثلاً، إلى أن «عدوى فيروس كورونا شائعة في جميع أنحاء العالم».

ماذا يعني ذلك؟ بكل بساطة، أنّ ترامب يكذب، بل إنّه يتخبّط في محاولاته للهروب إلى الأمام، عبر وضع اللوم والمسؤولية تارة على الصين، وطوراً على منظمة الصحة العالمية، وغيرهما.

وإن كان ذلك يعني شيئاً أيضاً، فهو أنه كان أمام الإدارة الأميركية ثلاث سنوات على الأقل للإعداد والتجهيز، تماشياً مع ما ورد في خطّة وزارة الدفاع، بدل تجاهلها.

USNORTHCOM Branch» 3560 Plan: جائحة الإنفلونزا والاستجابة للأمراض المعدية»، هو عنوان مسودّة الخطة التي حملت علامة «للاستخدام الرسمي فقط»، ويعود تاريخها إلى 6 كانون الثاني 2017. وقد حصلت عليها The Nation عبر مسؤول في البنتاغون، طلب عدم ذكر اسمه.

ووفق الصحيفة، وُضعت هذه الخطة كتحديث لخطة سابقة صادرة عن وزارة الدفاع للاستجابة لوباء الإنفلونزا. وهي تتضمّن «إشارات إلى تفشّي العديد من الأمراض، مؤخراً، من ضمنها متلازمة الشرق الأوسط التنفسية، في عام 2012». وتنبّأت الخطة العسكرية، بدقة غير عادية، بنقص العديد من الإمدادات الطبية التي ستؤدّي إلى وفيات لا حصر لها. وذهبت إلى حدّ الإشارة إلى أن «المنافسة وندرة الموارد» ستشملان الأدوات الطبية المضادّة، مثل أجهزة التنفّس والمعدّات المتعلّقة بها، وغيرها من معدّات الحماية الشخصية، كاقنعة الوجه (الكمامات) والقفّازات، ومعدّات الدعم اللوجستي»، معتبرة أن «ذلك سيكون له تأثيرٌ كبيرٌ على توافر القوى العاملة العالمية». أمّا التوقع الآخر الذي تضمّنته، فهو ما يحصل بالفعل من منافسة عالمية لإنتاج اللقاحات وندرتها.

103، هو عدد صفحات الخطّة التي لو التفت إليها ترامب وإدارته، لكانت بلاده بمنأى عن جزء كبير من تبعات انتشار وباء «كورونا» على أراضيها، وما خلّفه من أضرار في الأرواح والاقتصاد، والقطاع الصحّي المتهالك أساساً... فوثيقة وزارة الدفاع تحمل في طيّاتها نظرة عامّة على ما يمكن أن يتسبّب في حدوث جائحة، والمضاعفات المحتملة لذلك، فضلاً عن كيفية ردّ الجيش على هذا الأمر. كما تُفصّل الظروف التي يمكن أن يتحوّل فيها المرض المُعدي إلى جائحة، مثل «أماكن العمل المزدحمة، والمطارات الدولية، والظروف المعيشية غير الصحية...». وخصّت الخطّة بالذكر «أسرّة المستشفيات التي قد تصبح غير كافية»، وهو ما تواجهه الولايات المتحدة، حالياً، في ظلّ نقص الأسرّة المتزايد في مستشفيات ولاية نيويورك، الأكثر تضرّراً.

> **الاستخبارات حذرت من خطر فيروسات الإنفلونزا على مدى عقدين على الاقل**

«ذا نيشن» نقلت أيضاً عن دينيس كوفمان، الذي شغل منصب رئيس قسم الأمراض المُعدية والإجراءات المضادة في وكالة الاستخبارات الدفاعية بين عامي 2014 و2017، قوله إن «الاستخبارات الأميركية كانت على دراية جيّدة بمخاطر الفيروسات التاجية لسنوات». وأضاف: «لقد حذّر مجتمع الاستخبارات من خطر فيروسات الإنفلونزا الشديدة الإمراض لمدة عقدين على الأقل»، موضحاً أنهم «حذروا من الفيروسات التاجية لمدة خمس سنوات، على الأقل». وفيما لفت إلى «التصريحات التي تقول إنّ جائحة الفيروس التاجي تمثّل فشلاً استخبارياً»، أعرب عن الأسف لأن ذلك «يترك الناس الذين تجاهلوا تحذيرات الاستخبارات بعيدين عن الاستهداف».

انطلاقاً من كلّ ما تقدّم، يبقى السؤال الذي يحيّر الأميركيين: لماذا لم تكن الإدارة الحالية مستعدّة لمثل هذا التهديد؟ ربّما يكون الجواب على ذلك أنّ مفهوم الأمن القومي لم يكن منصبّاً على حماية الأرواح الأميركية، بقدر ما تحوّل إلى عبارة سحرية تمّ الترويج لها، بهدف تبرير ضخّ الأموال العامّة على مقاولي الدفاع. كلّ ذلك بينما جرى إهمال الأدوات الضرورية لمعالجة الأزمات الوجودية الفعلية.

والّلافت أنه رغم «توقعات» البنتاغون هذه، فإن ذلك لم يحل دون التخبط داخل الجيش الأميركي نفسه. ولعل ابرز مثال على ذلك الانتشار الكبير للعدوى على متن حاملة الطائرات «يو إس إس ثيودور روزفلت» التي أصيب بالعدوى أكثر من 580 من طاقمها المؤلف من 4800 شخص، وطريقة تعامل البحرية الأميركية مع الأزمة. ففي 30 اذار الماضي، كتب بريت كروزر، قائد الحاملة، رسالة إلى كبار مسؤولي البحرية يحذر فيها من أن التدابير المتخذة لحماية طاقمه من انتشار الفيروس غير كافية طالباً المساعدة. الرسالة، التي لم يتم تصنيفها، سرعان ما تسربت إلى الصحافة ونشرتها صحيفة «سان فرانسيسكو كرونيكل»، قبل أن تتناقلها وسائل الاعلام الاميركية. على الاثر، أقيل كروزر من منصبه، وصرح وزير البحرية توماس مودلي بأن الضابط الرفيع «انتهك سلسلة القيادة». ووجّه مودلي خطابًا الى أفراد طاقم روزفلت وصف فيه كروزر بـ«الغبي». إلا أن تسرب الخطاب دفع وزير البحرية الى تقديم استقالته هو الآخر، فيما أعطى وزير الدفاع مارك اسبر توجيهاته الى القادة العسكريين للتوقف عن الإعلان عن حالات الاصابة لأن ذلك «يهدد أمن العمليات».

(أ ف ب)

النيكوتين vs «كورونا»: علاقة جدلية قيد الدراسة

يواصل العلماء والخبراء أبحاثهم بهدف التوصل إلى علاج أو لقاح لفيروس «كورونا» المستجد، فيما تظهر، يومياً، حقائق جديدة عن هذا الفيروس، قد يكون بعضها مثيراً للجدل. ومنها دراسة برزت، في الأيام الأخيرة، تشير إلى أنّ غالبية الحالات الحرجة المصابة بـ«كوفيد-19» من غير المدخنين، ما فتح الباب أمام تأويلات رأى بعضها أنّ المدخنين أقلّ عرضة للإصابة بالفيروس.

في فرنسا، جرى تداول هذه العلاقة الجدلية بين النيكوتين وفيروس «كورونا» على نطاق واسع. وأعطى مدير المعهد العلمي فرانسوا ديلفريسّي مصداقية لما يُقال عن إمكانية أن يكون النيكوتين «حامياً في وجه «كورونا»، مشيراً الى أنّ «هناك شيئاً خاصاً جداً في ما يتعلّق بالتبغ. لقد لمسنا أنّ الغالبية العظمى من الحالات الحرجة ليست من المدخّنين، كما لو كان التبغ يحمي من الفيروس عبر مادة النيكوتين».

ولكن رغم ذلك، لا يزال من غير الواضح ماهية العلاقة بين «النيكوتين» و«كوفيد-19»، ووفق المتخصّصين، هناك القليل من المعلومات بما لا يمكن معه التوصل إلى خلاصات. وأوضحت ماريون أدلير، اختصاصية التبغ في مستشفى (Antoine AP-HP) Béclère de Clamart، في حديث إلى إذاعة «فرانس إنفو»، أنه «يجب أن نظلّ حذرين للغاية لأنّ هناك القليل من المعلومات العلمية في الوقت الحالي»، و«لا يوجد سوى عدد قليل من الدراسات الصينية والأميركية» في هذا المجال. ولفتت أدلير الى أن «النيكوتين قد يكون المادة التي تحمي (من الكورونا)»، لكن «دخان التبغ ليس كذلك». وبالتالي، «حتى لو كان هناك عدد اقل من المدخّنين المتأثرين (بكوفيد-19)، فإن المتضرّرين منهم يعانون من أعراض أكثر حدّة».

> **المصابون من المدخّنين يعانون من اعراض أكثر حدّة**

أدلير شدّدت، من جهة أخرى، على أن «المادة السامّة في التدخين هي الدخان، وليس النيكوتين الذي لا يوجد فيه ما هو سام على الصحة»، و«من هذا المنطلق، فإن البدائل المكوّنة من مادة النيكوتين تُباع في الصيدليات ومتاحة على نطاق واسع».

وعن آلية عمل النيكوتين في حال كان يحمي من «كوفيد-19»، أشارت أدلير إلى أنّ «الآلية المتوخّاة قد تكون بتنظيم مستقبلات ACE2 (أنزيم مرتبط بالسطح الخارجي للخلايا في الرئتين والشرايين والقلب والكلى والأمعاء)، وهي مستقبلات محدّدة، ربما تجعل من الممكن تقليل متلازمة الالتهاب، وقد تسهّل الحماية». لكنها شدّدت على أنّ التبغ لا يزال عامل خطر يساهم في تفاقم الأعراض الشديدة للمصابين بـ«كوفيد-19»، الأمر الذي يؤدي إلى مُضاعفات خطيرة للغاية.

(الأخبار)

على الغلاف

أسئلة وهواجس حول شكل الموسم الكرويّ الجديد

رغم الأزمات التي يمرّ بها لبنان على اكثر من صعيد، بدءاً من الأزمة الاقتصادية وانتهاءً بجائحة كورونا، تبقى كرة القدم اللبنانية حاضرة لدى المعنيين بها، حيث لا يكاد اثنان يجتمعان حتى يكون السؤال الاول: هل ستكون هناك بطولة في الموسم المقبل؟ سؤالٌ يفتح الباب على اسئلة عديدة حول شكل البطولة وموضوع اللاعبين الاجانب والعقود وغيرها

عبد القادر سعد

من الصعب على أيّ محبٍّ أو متابع أو حتى عامل في لعبة كرة القدم في لبنان أن يتخيّل فكرة عدم وجود بطولة في الموسم المقبل 2020-2021. أصبح من المحتّم أن موسم 2019-2020 قد انتهى. سقط بالضربات القاضية من أحداث 17 تشرين الأول 2019، إلى الأزمة الاقتصادية وصولاً إلى أزمة فيروس كورونا. حاول البعض صادقين إنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكنهم اصطدموا بازدواجية أطراف عديدة معنيّة باللعبة. أطرافٌ تتحدث شيئاً فوق الطاولة وتقوم بأشياء متناقضة تحتها. أطاح تحالف الهروب من الواقع والتذرّع به الموسم، ووجد الاتحاد اللبناني لكرة القدم وإلى جانبه عدد قليل من الأندية لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة أنفسهم الوحيدين الذين يرغبون باستكمال الموسم. غلّبت أكثرية الأندية مصالحها الشخصية، أو حساباتها الضيقة على المصلحة العامة فجاءت أزمة كورونا والشلل الذي يضرب البلاد ومن ضمنها النشاط الرياضي لتُنهي الموسم بشكل عملي بانتظار القرار الرسمي من اتحاد اللعبة.

وضع الجميع الموسم الماضي خلفهم وبدأوا النظر إلى الموسم المقبل وسط سؤال رئيسي: هل سيكون هناك موسم كرة قدم؟

سؤال كبير تصعب الإجابة عليه الآن في وقت لا يعلم كثيرون إلى أين ستُفضي أزمة كورونا ومتى ستنتهي.

فإذا كان الاتحاد الدولي ومن بعده الاتحادات القارية ومن ضمنها الاتحاد الآسيوي غير قادرة على تحديد مهل زمنية، فكيف الحال بالاتحادات المحلية التي تنتظر تبلور الصورة قبل الجلوس لاتخاذ قرارات ووضع أنظمة وتواريخ للموسم المقبل؟

هذا لا يعني أنه لا يحقّ للمعنيين باللعبة التفكير بالموسم الجديد. موسمٌ سيكون عنوانه الرئيسي: الاستثناء.

تشير المعلومات إلى أن الموسم سيكون استثنائياً على جميع الصعد، ولا يختلف اثنان على هذا الأمر. العناوين الرئيسية لهذا الموسم الاستثنائي تشمل أكثر من محور، بدءاً من نظام البطولة ومروراً باللاعبين الأجانب وانتهاءً بالعقود. ما كان قائماً بعد اندلاع أحداث 17 تشرين الأول والأزمة المالية على صعيد الواقع الصعب للأندية، تكرّس بشكل أكبر بعد أزمة كورونا. أصبح من الصعب إرهاق الأندية بموسم عادي ضمن الصيغة السابقة، وبالتالي لا بدّ من وضع نظام فني لبطولة استثنائية تكون مختصرة تريح الأندية. لكن هذه الصيغة لا يمكن أن تكون على حساب أندية أخرى ترغب باللعب فترة أطول وقادرة على تحمّل الأعباء المالية الإضافية. وهنا سيكون المعنيون باللعبة أمام مهمة وضع صيغ بطولة تُرضي جميع الأطراف.

النقطة الثانية هي موضوع اللاعب الأجنبي. فبعد أزمة كورونا المضافة إلى الأزمة الاقتصادية سيكون من الصعب خوض البطولة بلاعبين أجانب، وفقاً لرأي أكثر من معنيّ باللعبة. فبطولة بلا أجانب قد تكون أقرب إلى المنطق لأكثر من سبب، أولاً بسبب أزمة فقدان الدولار الأميركي من السوق اللبناني. فحين التعاقد مع لاعب أجنبي سيكون السؤال الأول الذي سيخطر في بال المسؤولين في الأندية: من أين سنؤمّن له دولاراً؟ كما أن الأزمة المالية الخانقة والارتفاع المخيف لسعر صرف الدولار سيعنيان أن أي لاعب أجنبي سيتم التعاقد معه سيكون من «الصف السادس» في ظل ضعف قدرة الأندية المالية.

> **السؤال الاول الذي يتبادر إلى ذهن المعنيين باللعبة: هل ستكون هناك بطولة؟**

وعليه، فإن إلغاء اللاعبين الأجانب في الدوري المحلي أصبح وارداً لدى عدد من رؤساء الأندية. كما أن غياب اللاعب الأجنبي سيفتح المجال أمام اللاعبين اللبنانيين كي يحصلوا على فرصة أكبر لخوض المباريات.

النقطة الثالثة هي العقود. هذا البند أقلق بال المعنيين باللعبة من اتحاد وأندية ولاعبين. مشاكل عديدة تفجّرت جراء الأزمة المالية في ظل إبرام عقود كان عدد كبير منها مبالغاً فيه. وبالتالي سيكون لزاماً وضع سقف للعقود وإدراج بنود جديدة فيها كمبدأ الدفع بالليرة اللبنانية، وربط الالتزام بالعقد في حال كانت هناك بطولة كاملة غير منقوصة.

لا شكّ في أن هناك نقاطاً أخرى يجب البحث فيها لدى الحديث عن الموسم المقبل، من أجور الحكام إلى أجور الملاعب وموضوع عائدات النقل التلفزيوني ومسألة حضور الجمهور من عدمه. لكن تبقى هذه النقاط في المرتبة الثانية التي تحتاج إلى جهود أطراف عديدة للوصول إلى صيغ مقبولة من الجميع ووفق قدرات الاتحاد اللبناني والتلفزيون الناقل. أما الأهمّ فسيكون في تحديد شكل البطولة والـ«لاعبين الأجانب» والعقود التي سيتم إبرامها.

يتفق كليرون على ان الموسم الجديد سيكون استثنائيا على جميع الصعد (عدنان الحاج علي)

حول العالم

أرسنال يحترم التزاماته

أعلن نادي أرسنال الإنكليزي أنه لن يستخدم خطة حكومية للاحتفاظ بالوظائف وسيواصل دفع الأجور الكاملة للعاملين والعمالة المؤقتة حتى نهاية أيار/ مايو. وتوقّف الدوري الممتاز حتى 30 نيسان على الأقل بسبب جائحة فيروس كورونا المستجد، وتعهّد النادي اللندني في البداية بدفع رواتب العاملين حتى نهاية الشهر الجاري. وقال أرسنال في بيان: «كل العاملين يحصلون على أجورهم كاملة ونحن نخطّط لمواصلة ذلك. نحن لا ننوي حالياً استخدام خطة الحكومة للاحتفاظ بالوظائف». وأضاف «إلى جانب كل العاملين، فنحن نؤكّد التزامنا أيضاً بدفع أجور العمالة المؤقتة لدينا حتى نهاية أيار/مايو بدلاً من نهاية نيسان/ أبريل». وتابع «بالنسبة إلى العمالة المؤقتة في أيام المباريات هذا يعني أننا سندفع أجورهم عن المباريات الأربع في الدوري الممتاز والتي تأجّلت كما سندفع أجورهم مرة أخرى إذا أقيمت المباريات لاحقاً».

وأبدى بعض الأندية رغبته المبدئية في استغلال خطة الحكومة للاحتفاظ بالوظائف خلال جائحة فيروس كورونا قبل أن يحدث تراجع من ليفربول وتوتنهام هوتسبير وبورنموث بعد التعرّض لانتقادات حادّة. وقال أرسنال إنه في مباحثات مع لاعبيه بخصوص «التحديات المالية المحتملة» في المستقبل لكنّه لم يتوصل بعد إلى اتفاق معهم في كيفية المضي قدماً في هذا الأمر. وفي الأسبوع الماضي، أعلن وست هام يونايتد وساوثامبتون تأجيلاً في أجور اللاعبين للتعامل مع الأزمة المالية بسبب انتشار الفيروس.

موعد جديدٌ لطواف فرنسا

أعلن الاتّحاد الدولي للدراجات الهوائية عن تغيير موعد طواف فرنسا الذي كان مقرّراً بين 27 حزيران/ي ونيو و19 تموز/ يوليو، ليصبح بين 29 آب/ أغسطس و20 أيلول/سبتمبر، وذلك بسبب تفشّي فيروس كورونا المستجد. وكان ترحيل موعد السباق الذي لن يُقام في شهر تموز/ يوليو للمرة الأولى منذ الحرب العالمية، حتمياً، بعد قرار الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مساء الاثنين الماضي تمديد الإغلاق والحجر حتى 11 أيار/مايو، وحظر التجمعات بأشكالها كافة حتى منتصف تموز/ يوليو بسبب انتشار «كوفيد-19».

سانيه إلى بايرن

لا يزال الألماني لوروا سانيه لاعب نادي مانشستر سيتي الإنكليزي لكرة القدم مرتبطاً بالانتقال إلى بايرن ميونيخ بطل ألمانيا في السنوات السبع الأخيرة، وفق ما أفاد وكيله الجديد دامير سموليان صحيفة «سبورت بيلد» الألمانية.

وارتبط سانيه (24 عاماً) بالانتقال إلى العملاق البافاري الصيف الماضي لا سيما بعد رحيل الجناحَين الفرنسي فرانك ريبيري والهولندي آرين روبن، إلّا أنّ تعرّضه لتمزق في الرباط الصليبي الأمامي لركبته اليمنى أمام ليفربول في مباراة درع المجتمع في آب/ أغسطس الفائت، دفع بايرن لإعادة النظر في خيار التعاقد معه.

وغاب الألماني الدولي منذ ذلك الوقت عن الفريق الأول لسيتي بطل إنكلترا في العامين الماضيين، فيما خاض في شباط/فبراير الفائت أول مباراة مع الفريق الرديف ضد أرسنال، قبل تعليق المنافسات الكروية في بريطانيا بسبب تفشّي فيروس كورونا المستجد. وقال سموليان: «ابتداء من الآن، بات لدينا رسمياً تفويض وكالة عن لوروا سانيه وبإمكاننا إجراء مفاوضات».

وتابع «بايرن ميونيخ هو النادي الألماني الوحيد الذي يمكن للوروا أن يفكر فيه للمرحلة التالية من مسيرته. إذ يعتبر أن الظروف متاحة له لتحقيق هدفه الأكبر: الفوز بلقب دوري أبطال أوروبا». وأكد سموليان أن «اهتمام بايرن (بسانيه) ليس سراً، ولكن هناك العديد من الأندية الأوروبية الكبرى التي تواصلت معنا بشأن لوروا» حيث أشارت «بيلد» إلى أنّ العملاقَين الإسبانيين ريال مدريد وبرشلونة من بين تلك الأندية.

وينتهي عقد سانيه الحالي مع سيتي في حزيران/ يونيو 2021 وهو خاض معه 134 مباراة سجل خلالها 39 هدفاً مع 45 تمريرة حاسمة منذ قدومه من شالكه عام 2016. ويعتبر الجناح الدولي الألماني الذي شارك في 21 مباراة مع منتخب «المانشافت» سجل خلالها خمسة أهداف، من المواهب الواعدة لبلاده.

بلوك شوت

«كرةُ القدم بين الشمس والظلّ»

في كتابه كرة القدم بين الشمس والظلّ يقول الكاتب الأوروغواياني إدواردو غاليانو إنّ كرة القدم هي مرآة العالم. لا شكّ أن هذا أبرز تعبير لوصف كرة القدم، ولشرح ما تعنيه في حياة الشعوب والمجتمعات. العالم اليوم يبدو وكأنّه ملعب عملاق يستضيف مباراة نهائية، ولكن من دون جمهور. المدن من دون أهلها تكون كئيبة مظلمة، وكذلك الملاعب التي تغيب عنها أصوات جماهيرها. صيحاتهم عند الفوز، والشتائم عند الخسارة، والدموع في الحالتَين. عندما تدور الكرة فإنّ العالم كلّه يدور، ولكن ما يحدث اليوم هو الموت. الفيروس حكَم على عشاق كرة القدم بالإعدام مرّتَين، الأولى عندما فرض عليهم البقاء في منازلهم، والثانية، وهي الأصعب، عندما أمر بتوقّف هذه الكرة عن الدوران. في كتابه يسأل غاليانو «هل دخلت يوماً إلى ملعب مقفر؟ جرّب ذلك. توقف في منتصف الملعب وأنصِت. ليس هناك ما هو فارغ أكثر من ملعب فارغ، ليس هناك ما هو أكثر بُكماً من المدرّجات الخاوية».

المشهد الذي كان يخاف منه غاليانو بات اليوم حقيقة قائمة. الملاعب باتت فارغة تماماً، وكذلك المدن والساحات التي كانت تجمع مشجّعي الأندية والمنتخبات للاحتفال. كانت المدرّجات والساحات مساحة مهمّة للجماهير لكي تعبّر عن نفسها، تحمّس، تعترض، تتشارك الأفكار والأغاني والهتافات، ولكن كلّ هذا توقّف الآن. كورونا ورغم الخوف الكبير الذي يزرعه في قلوب الناس حول العالم، إلّا أنه كان ليكون أسهل لو أن كرة القدم كانت موجودة. أغلب عشّاق الكرة يقضون أوقاتهم اليوم بمشاهدة مباريات قديمة، بينها نهائيات كأس العالم، نهائيات أوروبا، والمباريات التي تصنّف ضمن «الكلاسيكيات» في التاريخ. الجماهير تتمنّى اليوم عودة المنافسات حتى ولو كانت من دون جمهور، بات مقبولاً مشاهدة كرة القدم عبر الشاشة الصغيرة، وعدم الذهاب إلى المدرّج، المهم أن تعود المنافسات، وتعود الكرة إلى الدوران.

العالم صعبٌ جداً من دون كرة القدم. هذه العبارة ربّما لا تعني من لا يحبّ كرة القدم، ولكن هي بلا شك تدور في رأس كلّ عاشق للجلد المدوّر. تدور برأس من كان يقطع مسافات طويلة لمشاهدة فريقه المفضل، أو لاعبه المفضل. هناك مشجعون كانوا يسافرون من قارّة إلى أخرى لمشاهدة مباراة ورؤية نجم يداعب الكرة. كانوا يقاتلون الملل. الشعور بعد كلّ «ريمونتادا» لا يُعوّض، وكذلك عند تسجيل ركلة حرّة، أو صناعة هدف بطريقة عبقرية... اليوم يشاهد الجمهور هذه اللقطات عبر «يوتيوب» ويتحسّر.

العالم في ظلّ كورونا مُظلمٌ وكئيب، ومن دون كرة القدم هو أكثر من ذلك. كرة القدم لغة مشتركة بين الشعوب، وبعودتها سيتغيّر شكل العالم إلى الأفضل، سيخرج من الظلّ إلى الشمس...

(الأخبار)

«جرح» العقود يحتاج الى مداواة

لا يختلف اثنان على أن الموسم الكروي الحالي أصبح سابقاً. فالأزمة الاقتصادية مضافة إليها أزمة كورنا أنهت مفاعيل الموسم الحالي وأصبحت مهمة المسؤولين التفكير بالموسم المقبل. انتهاء المفاعيل ليس كاملاً بعد. هناك «جرحٌ» ما زال ينزف ويتعلّق بالشكاوى المقدمة، والدعاوى المرفوعة، من قبل عددٍ من اللاعبين بحق أنديتهم. بعض هؤلاء اللاعبين أجانب، كان للاتحاد الدولي قراره في عدد منها. لكن هذه الدعاوى تعود الى المرحلة ما قبل 17 تشرين الأول كقضية لاعبي النجمة جيلبرتو دوس سانتوس والغرينيادي سيدريل لويس. ومن المتوقع أن تبتّ لاحقاً قضايا أخرى أيضاً تتعلق بلاعبين من النجمة كالتونسي مراد الهذلي والغاني إيساكا أبودو الذين تم فسخ العقد معهم بعد أحداث 17 تشرين وتوقف الدوري. نجحت جميع الأندية اللبنانية في حلّ ملفات لاعبيها الأجانب بتسويات ومن دون مشاكل، باستثناء النجمة. لكن في النهاية، سيكون القرار للاتحاد الدولي على هذا الصعيد.

محلياً، تختلف الأمور بالنسبة الى اللاعبين اللبنانيين. عدد منهم تقدّم بشكاوى للاتحاد اللبناني لبتّ نزاعات مالية مع أنديتهم، وعدد آخر توجّه الى الفيفا حيث رفع دعاوى ضد أنديتهم.

شكّل الاتحاد اللبناني لكرة القدم لجنة لمتابعة شؤون اللاعبين ومهمتها حلّ القضايا العالقة. قامت اللجنة بدراسة جميع الشكاوى واجتمعت مراراً وهي في صدد اتخاذ القرارات المناسبة لحل القضايا بين اللاعبين وأنديتهم، بعد عودة الحياة الى لبنان.

هذا على صعيد الشكاوى المقدمة مباشرة الى الاتحاد اللبناني. لكن ماذا على صعيد القضايا المرفوعة الى الفيفا؟ أكثر من لاعب في النجمة والسلام زغرتا وغيرهم من الأندية تقدموا بدعاوى لدى الفيفا. الأخير وبسبب مبدأ «الظروف القاهرة» عمد الى إرجاع قضايا اللاعبين اللبنانيين الى الاتحاد المحلي. فالأخير سيقوم باتخاذ قرارات ملزمة للطرفين، أي اللاعب والنادي، لحل الموضوع ضمن تسويات ترضي الطرفين.

وهنا يبرز سؤالٌ رئيسي: ماذا إذا رفض اللاعب الذي تقدّم بدعوى الى الفيفا أن يقبل بقرار الاتحاد المحلي وأصرّ على شروطه معيداً الملف الى الفيفا؟

يقول أحد المسكين الرئيسيين بالملف لـ«الأخبار» إن قرارات الاتحاد ستكون ملزمة، وحتى إذا أصرّ اللاعب وعاد الى الفيفا، فإن الأخير سيطلب تنفيذ قرار الاتحاد المحلي، انطلاقاً من مبدأ «الظروف القاهرة» التي يرتكز عليها الاتحاد الدولي في قرار إسناده بت قضايا اللاعبين المحليين الى اتحادهم المحلي. «لو كانت الظروف طبيعية، لكان الفيفا قد اتخذ القرار بنفسه، لكن في ظل الظروف الراهنة سيلتزم الفيفا بقرار الاتحاد المحلي»، يقول مصدر رفيع لـ«الأخبار».

على الغلاف

الدين والوباء

حسام مطر*

منذ مئة عام تقريباً، لم تختبر البشرية وباءً أشاع هذا المستوى من الهلع حول العالم، فقد تسبّبت أوبئة سابقة بعدد أكبر من الضحايا إلّا أنها بقيت محصورة في مجتمعات طرفية محددة ولم تتحول إلى ظاهرة عالمية. لذلك، نحن غير مهيّئين نفسياً وثقافياً للتعامل مع وباء «كورونا». ومن أبرز الأسئلة التي يثيرها الوباء هو سؤال الدين، فالأوبئة بما تستجلبه من موت والآم ومخاوف وتساؤلات عقائدية ووجودية تستدرج الدين مباشرة للتفاعل معها.

التشابك المثير

يكشف تاريخ الأوبئة والأديان عن تشابك مثير بينهما، فكلاهما ساهم في تشكيل الآخر في أكثر من مرحلة تاريخية، وهو تفاعل أكثر تعقيداً من التعميمات التبسيطية، إذ ساهمت الأديان حيناً في احتواء الأوبئة وماسبها وحيناً آخر حصل العكس، وأحياناً أدّت الأوبئة إلى ازدهار الإيمان و/أو المؤسّسات الدينية، وأحياناً أخرى ادت إلى تقويضهما. مع الإشارة إلى أن الصلة الأشد للأوبئة هي مع الديانة المسيحية، نظراً إلى أنّ نطاقها الجغرافي تاريخياً، ولأسباب طبيعية، أكثر عرضة لتفشّي الأوبئة بالتحديد في أوروبا.

يُعلّل ديفيد هيوز، أستاذ البيولوجيا التطورية في جامعة بينسلفانيا (عام 2011) أنه على البيولوجيين معاملة الدين بجدية، نظراً إلى أنّ بعض الديانات العالمية نشأت في وقت انتشار أمراض مُعدية، وبالتزامن مع ازدهار المدن. فبين عام 800 قبل الميلاد وعام 200 قبل الميلاد، حين ازدهرت المدن وانتشرت الأوبئة التي قضت على ثلثي السكان، ظهرت جذور الديانات الحديثة. أهمية الدين لدى هيوز في ما يخصّ الأوبئة، تنطلق من قوة الدين في تشكيل سلوك الناس بشكل لم يكن ممكناً من دون ذلك. فالأديان تشكّل سلوك الناس بطريقة لا يمكن لنظرية التطوّر توقعه. وقد تأثرت عقائد جملة من الأديان بما إذا كان مناصروها فزوا من الأوبئة أو بقوا والتزموا بمساعدة المرضى.

بناء عليه، ترتبط التداعيات المحتملة لانتشار وباء «كورونا» على الأديان، سواء على الصعيد الإيماني أو المؤسساتي، بجملة متغيّرات وعوامل، منها:

أولاً: الأداء العقلاني للمؤسسات الدينية في الحدّ من الوباء

هنا يُلاحظ أنّ موقف التيارات الرئيسية الدينية حول العالم، اتّسم بنزعة إيجابية تجاه العلم بمنحه الأفضلية في قيادة مواجهة «كورونا» والتأكيد على الالتزام، ولو بشكل متأخّر أحياناً، بالإجراءات ومنها إغلاق دور العبادة أو فرض قيود شديدة عليها (تقليص المراسم والتباعد والتعقيم، لأنّ هذا الحضور في أماكن العبادة يعزّز التضامن والبعد الروحي والدعم النفسي في مواجهة المرض، ويعزّز من السعي لمساعدة الآخرين، ونظراً إلى أنّ نطاقها الجغرافي تاريخياً، ولأسباب طبيعية، أكثر عرضة لتفشّي الأوبئة بالتحديد في أوروبا.

يُعلّل ديفيد هيوز، أستاذ البيولوجيا التطورية في جامعة بينسلفانيا (عام 2011) أنه على البيولوجيين معاملة الدين بجدية، نظراً إلى أنّ بعض الديانات العالمية نشأت في وقت انتشار أمراض مُعدية، وبالتزامن مع ازدهار المدن. فبين عام 800 قبل الميلاد وعام 200 قبل الميلاد، حين ازدهرت المدن وانتشرت الأوبئة التي قضت على ثلثي السكان، ظهرت جذور الديانات الحديثة. أهمية الدين لدى هيوز في ما يخصّ الأوبئة، تنطلق من قوة الدين في تشكيل سلوك الناس بشكل لم يكن ممكناً من دون ذلك. فالأديان تشكّل سلوك الناس بطريقة لا يمكن لنظرية التطوّر توقعه. وقد تأثرت عقائد جملة من الأديان بما إذا كان مناصروها فزوا من الأوبئة أو بقوا والتزموا بمساعدة المرضى.

بناء عليه، ترتبط التداعيات المحتملة لانتشار وباء «كورونا» على الأديان، سواء على الصعيد الإيماني أو المؤسساتي، بجملة متغيّرات وعوامل، منها:

أولاً: الأداء العقلاني للمؤسسات الدينية في الحدّ من الوباء

هنا يُلاحظ أنّ موقف التيارات الرئيسية الدينية حول العالم، اتّسم بنزعة إيجابية تجاه العلم بمنحه الأفضلية في قيادة مواجهة «كورونا» والتأكيد على الالتزام، ولو بشكل متأخّر أحياناً، بالإجراءات ومنها إغلاق دور العبادة أو فرض قيود شديدة عليها (تقليص المراسم والتباعد والتعقيم، لأنّ هذا الحضور في أماكن العبادة يعزّز التضامن والبعد الروحي والدعم النفسي في مواجهة المرض، ويعزّز من السعي لمساعدة الآخرين، ونظراً إلى أنّ نطاقها الجغرافي تاريخياً، ولأسباب طبيعية، أكثر عرضة لتفشّي الأوبئة بالتحديد في أوروبا.

مانفريد فينك - الولايات المتحدة

في العموم، يبدو الخطاب الديني حذراً تجاه الوباء الحالي، فهو يحضّ الناس على الأمل بنهاية قريبة له ويوصيهم بالدعاء والتضرّع، ويجدها فرصة لدعوة البشرية إلى التفكّر في علاقتها بالخالق والتواضع، بينما تبدو الخطابات التي تعتبر الوباء عقاباً من الله أو أنها انتقام من أعداء الله هامشية. فالانتشار العالمي للوباء وظهور الجميع من دون حصانة أعاق الإحاطة بتفسير وباء «كورونا» باعتباره عقاباً لجماعة بعينها. لكنّ الأهم أنّ الأديان اهتمّت، في العقود الأخيرة، وبشكل بارز بعد تزايد الكوارث والمآسي، بتطوير مقارباتها الفلسفية لمفهوم الشرور لاستيعاب استياء المؤمنين واضطرابهم وضبط الشكوك الناتجة عن وقوعها. في الواقع، يُلاحظ في أزمة «كورونا» تراجعٌ للأسطرة الدينية للوباء مقابل صعود الأسطرة السياسية له (بحسب مركز «بيو»، 37% من الجمهوريين يعتقدون أنّ الفيروس صُنع في مختبر مقابل 21% من الديموقراطيين).

يرى المفكّر الإيراني المثير للجدل مصطفى ملكيان، أنّ ظاهرة الإلحاد تصبح أكثر انتشاراً بين الناس، في ظلّ معاناة البشر الناتجة عن الحروب المدمّرة وانتشار الأوبئة وحصول الكوارث الطبيعية التي تحصد الآف الناس. ومنشأ الإشكالية هنا، هو أنّ الإنسان قد لا يجد الطاقة النفسية والمبرّرات العقلية لتقبّل هذا النمط من الآلام والمآسي، في ظلّ وجود إله يستطيع منعها إن لم يكن هو المسبّب لها، بحسب ما قد يفهم الإنسان العادي والبسيط. وفي إطار رفع هذه الإشكالية، يدعو ملكيان إلى فهم الدين في إطار ضرورة تحديد «توقعات البشر من الدين»، بمعنى ضرورة تحديد ما هي الأمور التي يمنحها الدين للإنسان في هذه الحياة، ذلك أنه ليس من وظيفة الدين منع حصول الكوارث الطبيعية، أو الحؤول دون إصابة الإنسان بالألم والمرض، بل وظيفة الدين هي إضفاء معنى على الآلام التي تصيب الإنسان وإعطاؤه القدرة على مواجهة المشكلات، وربط مسيرته الحياتية بهدفية تربطه بالقيم المعنوية في الدنيا والخلاص في الآخرة. (سلسلة محاضرات لمصطفى ملكيان في كلية الإلهيات/ جامعة طهران تحت عنوان «توقعات البشر من الدين»، نقلاً عن الدكتور حبيب فياض).

ثالثاً: القدرة على المساهمة في خدمات الرعاية وتخفيف المعاناة

تاريخياً، كان هذا هو الاختبار الأشد للمؤسسات الدينية، لا سيما الكنيسة، التي كانت الجهة المعوّل عليها لتقديم الرعاية والخدمة الاجتماعية حين كانت الدولة ومؤسساتها غائبة أو في أطوارها الجنينية. فمتى نجحت المؤسسات الدينية في هذه المهمة، كانت تزدهر وتنتشر أفكارها والعكس صحيح. وتحوي الأديان، عموماً، جوانب تحثّ على الإيثار والتكافل والإغاثة وبذل المحبة، لا سيما في الجوانب الإحتماعية، كانت المؤسسات الدينية تستند إليها لتعبئة الموارد المجتمعية في الكوارث والأزمات. مثلاً، يذكر بعض علماء المسلمين عن حكمة النهي عن الخروج فراراً من الطاعون «أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور أو غيره ضائع المصلحة ولفقدَ من يتعهده حياً وميتاً، ولو أنه شُرع الخروج فخرج الأقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء».

يرى وليام شويكر، أستاذ في مجال الأخلاق اللاهوتية في جامعة شيكاغو في مقالة بعنوان «دين مُعدٍ»، أنّ الدين والمرض وبشكل غريب ساهما في تشكيل بعضهما البعض، من ناحية دور التعاليم والممارسات الدينية بخصوص المرض والاستجابة له. فمثلاً، تحضّ بعض التعاليم الدينية على الاحتكاك مع المرضى، حتى مع احتمال تعرّض حياتهم للخطر، فيما ديانات أخرى تكون أكثر حذراً كما يُنسب لليهودية. إنّ الخدمة الاجتماعية والإغاثية وإنتاج إحساس بالأمان النفسي والروحي، تمثل مصدراً هائلاً لمشروعية المؤسّسات الدينية ودورها.

تعرض ستون التجربة المسيحية في التعامل مع الأوبئة، فتشير إلى أنّ المؤرّخين يرون أن الطاعون الأنطوني الذي أصاب الإمبراطورية الرومانية (استمر بين عامي 165 و180 وقتل 10% من سكانها تقريباً) أدى إلى انتشار المسيحية بفعل ما قدمه المسيحيون من رعاية ونموذج روحي، حيث اعتُبرت الأوبئة من نتائج «أفعال الخليقة المكسورة المنتفضة بوجه إله مُحب»، ثم كان الطاعون القبرصي (249م ـ 262م) في الإمبراطورية الرومانية أيضاً، ونتيجة لعظات الكاهن سايبريان (القبرصي) الذي دعا لاستبدال البكاء على ضحايا الطاعون لأنهم في الجنة، بمضاعفة الجهود للاهتمام بالأحياء وتحمّل مسؤولية المرضى وتلبية احتياجاتهم بمعزل عن دياناتهم، ما أدى إلى انتشار واسع للمسيحية. ونتيجة لذلك، كان عدد ضحايا الطاعون أقلّ من النصف في المجتمعات المسيحية بالمقارنة مع سواها، كما توصل عالم الاجتماع رودني ستارك.

وهذا موقف كرّره مارتن لوثر عام 1527 مع وباء بوبونيك، حين دعا المسيحيين إلى مواجهة الطاعون والموت في مواقعهم، وحيث على الأطباء الصمود في المستشفيات والحكام في إدارة المقاطعات، فالطاعون «لا يلغي المسؤوليات علينا، بل يحوّلها إلى صلبان وعلينا أن نكون جاهزين للموت».

في المقابل، أدى الطاعون (الموت الأسود) الذي اجتاح أوروبا، بين عامي 1347 و1351، إلى تضعضع الكنيسة الكاثوليكية، وإلى صعود حركات دينية من خارج هرمية الكنيسة. تفحص أطروحة ماك لورين زينتنر (جامعة ميسيسيبي، 2015) كيف فشلت الكنيسة في مواجهة الطاعون، وفي التعامل مع نتائجه المدمّرة، فانكشفت هشاشة وعودها الدنيوية وتراجع الإيمان الشعبي بها والثقة بدورها، وهي المؤسسة التي كان منوطاً بها حينها ضمان الاستقرار والهداية. لقد اكتشف المؤمنون «الجانب البشري» من الكنيسة الذي عجز عن إنقاذهم من الوباء، بحسب زينتنر. هذا الضمور في دور الكنيسة لم ينعكس سلباً على الإيمان بالله، بل صعدت حركات دينية أكثر تعلّقاً بفكرة الغيب.

وتحيل أطروحة زينتنر فشل الكنيسة في مواجهة الوباء حينها إلى جملة أسباب منها: أن الكنيسة كانت تمرّ بمرحلة ضعف قبل وقوع الوباء، نتيجة انزلاقها إلى لعبة الثروة والسلطة. ثمّ أن الكنيسة فقدت في المرحلة الأولى من الوباء عدداً كبيراً من كهنتها، ممن كانوا يشاركون في طقوس الاعتراف أو طقوس الدفن (لذلك، صدرت فتاوى أجازت لأيّ شخص موجود قرب الشخص المحتضر «حتى لو كانت امرأة» أن يتلقّى الاعتراف). فمن المحتمل أن معدل الوفيات بين الكهنة كان أعلى من معدل الوفيات بين الناس (تراوحت معدلات الوفيات بين الكهنة بين 45% إلى 60% فيما تشير دراسات إلى أن الرقم الأكثر دقة هو 30%). هذا النقص الحاد في العنصر البشري قلّص قدرة الكنيسة على الإتيان بدورها في طقوس الاعتراف للمحتضرين ودفن الموتى، أي مراسم «فن الموت» حيث كانت الطقوس التي يؤدّيها الكهنة تضمن عبور المؤمنين الآمن نحو العالم الآخر، ما يساعد الأحياء على تقبّل فكرة الموت ويحيي تماسك النسيج الاجتماعي والعودة إلى دورة العمل والحياة. وكان لهذا الخلل آثار نفسية واجتماعية مدمّرة. كما قوّض الوباء من ميزتَي الخبرة والانتظام داخل الكنيسة بفعل الوفيات بين رجالها، وهو ما دفع إلى استقطاب منتسبين جدد لا يمتلكون المعرفة الكافية ولا الخبرة ولا حسّ الانتماء. ونتيجة ذلك، توفّرت فرصة لرجال الدين أثناء وبعد الوباء لرفع أجورهم وتكديس الثروات ما فاقم النقمة عليهم.

أمّا تبعات فشل الكنيسة فكانت هائلة وعميقة. أولاً، شاعت الأعمال الخيرية الخاصة بعيداً عن سلطة الكنيسة، ما قوّض احتكار الكنيسة للخدمات الاجتماعية. فصارت الهبات والصدقات تُنفق مباشرة، ولا سيما لصالح المستشفيات. ثانياً، كان لافتاً أثناء وبعد الوباء، الزيادة في أعداد الحجيج المسيحيين إلى روما والأماكن المقدسة، حيث أصبح السعي للخلاص فردياً وبمرّ عبر القديس وليس الكاهن. وثالثاً، انتشرت النزعات الصوفية حيث العلاقة مع الله لا تستلزم الكنيسة، فالله في قلب المؤمنين. وفي هذا السياق، شهدت حركة مواكب «جلد الذات» ازدهاراً واسعاً خلال وبعد الطاعون الذي قُدّم على أنه عقاب إلهي على الخطايا التي لا بدّ من التطهّر منها بمعاقبة النفس. وقد روّجت هذه الحركة الدينية للقدرة على اجتراح المعجزات ومنح الخلاص، ودخلت في صراع محموم مع الكنيسة وتحدّت هرميتها وأشاعت مرويات عن قرب ظهور حاكم قوي سيسفك دماء الكهنة ويعيد السلطة للناس.

في العصر الحالي، يتواصل دور المؤسسات الدينية الاجتماعي والإغاثي، لا سيما في بلدان العالم الثالث حيث تعاني الدولة من الضعف ونقص الموارد، بينما لا تزال المؤسسات الدينية الكبرى قادرة على جذب الموارد (المادية والمعنوية) وتعبئتها. فيبرز، مثلاً، دور الكنائس في أفريقيا بالتعامل مع مرض «الإيدز» (في ملاوي 30% من المسيحيين يزورون مرضى «الإيدز» بالمقارنة مع 7% من المسلمين، بحسب مسح يستند له هيوز) وهو ما يُسهم في انتشار المسيحية. يرى هيوز أن هذا التعاطف في المجتمع المسيحي تجاه مرضى «الإيدز» يفسّر لماذا 10% ممّن شملهم المسح تحولوا نحو الديانة المسيحية. فوجودهم ضمن البيئة المسيحية سيضمن لهم في حال إصابتهم بـ«الإيدز» التعاطف والعناية وتكون وصمة العار أقل وطأة. وفي ما يخصّ وباء «كورونا» تنشط المؤسسات الدينية بشكل بارز في دول المنطقة، ففي إيران سارعت المؤسسات المرتبطة بمقام الإمام علي الرضا إلى إنتاج المعقّمات وصنع الكمامات وتوزيعها بالمجان، وأفتت مرجعيات دينية أنه لا مانع من أن يُنفق المرء من أموال الزكاة على شراء أدوات الحماية من العدوى، وفي لبنان تحشد مؤسسات حزب الله مواردها البشرية والمادية في حملة استجابة واسعة مقدّمة للخدمات الصحية والإرشادية والغذائية.

خاتمة

ستكون تأثيرات وباء «كورونا» معقّدة ومتباينة في ما يخصّ الدين ومؤسساته، وبما أن الحدث لم يكتمل بعد، فلا يمكن إلا التفكير بالاتجاهات المحتملة. الأديان اليوم أصبحت تعمل من ضمن منظومات كبرى مثل الدول، فالأديان تماسست إلى حدّ بعيد، وتنحاز نحو خطاب وأداء عقلاني تجاه المسائل حيث للعلم التجريبي سطوة جلية. وهذا ما ينعكس اليوم في تأكيد المؤسسات الدينية على وجوب احترام التخصّص العلمي والالتزام بما تفرضه التعليمات الطبية والرسمية (اعتبر الإمام السيد علي الخامنئي ضحايا الكادر الطبي بسبب الفيروس بمنزلة «شهداء الخدمة»)، بينما يُلاحظ أنّ المقاربات «النافرة» تأتي من جماعات دينية هامشية وبعيدة عن مراكز المسؤولية، وهي تصرّ على خطاب «ساذج وعاطفي» لتحدّي التيار السائد وتعبئة جماهيرها واستقطاب جدد من المهمشين على صعيد التعليم والتنمية. بهذا المعنى، قد يحفّز الوباء التنافسات داخل الأديان نفسها وليس بين الدين والعلم. كما يمكن للتعاون بين مؤسسات دينية من اتجاهات مختلفة (طائفية ومذهبية) في مواجهة الوباء، أن يساعد على تضميد عداوات دينية وسياسية واجتماعية.

ثم إنّ المؤسسة التي تكون عرضة للتحدّي والمخاطر في الأزمات هي تلك المعنية بالتصدي لها، وهي اليوم ليست الأديان ومؤسساتها، كما في القرون السابقة، بل الدولة والعولمة والعلم. لذلك الكتابات اليوم في معظمها، تتجه إلى تناقش في مستقبل الدولة والعولمة الرأسمالية والنظام الدولي بعد «كورونا»، لأنّ هذه المؤسسات والأطر مفترض أنها في الخندق الأمامي، والفشل في مواجهة الفيروس سيرتد عليها سلباً بالدرجة الأولى. وهذا التأثير سيكون مركزه في العالم الغربي، وقد يكون من مفاعيله تعزيز التيارات الروحية والتأملية وليس الأديان نفسها. اما إن حاولت المؤسسات الدينية مصارعة العلم في الأزمة الحالية، وعجزت عن دورها في التعاطف والرعاية، ولم تفلح في ضبط توقعات الناس من الدين تجاه الوباء، فهذا ما يمكن أن يقوّض هذه المؤسسات لصالح مزيد من التديّن الفردي أو نزعات الإيمان الروحي وربما الإلحاد.

سينجح العلم، بما يملكه من تراكم في البنى المعرفية والمادية، في التصدّي للوباء الحالي في نهاية المطاف، وإن كنّا لا نستطيع أن نقدّر الآن بأية كلفة سيكون ذلك. كما يمكن للمؤسسات الدينية أن تنجح في تقديم نموذج تشاركي مع المؤسسات العلمية بمساهمتها في تشجيع التفكير العقلاني وتحفيز المؤمنين للالتزام بالتدابير والتخفيف من آثار الوباء الاجتماعية والنفسية، تتنقد كاثرين براون (مدونة أوكسفورد يونيفرسيتي برس، 19 آذار 2020) المقاربة السلبية التي طغت في السنوات الأخيرة تجاه الدين في السياسة الدولية، بتصويره مخرباً لـ«التقدم السلمي الصحي للسياسات العلمانية»، إذ إن «الدين حالة معقدة أكثر من كونه جيداً أو سيئاً». وترى براون أنه كان للدين دور إيجابي أحياناً في مكافحة الأمراض والأوبئة، وأن السلطات في حالة «إيبولا»، وربما «كورونا»، تأخرت في إدراك الدور الحيوي للمنظمات الدينية في دعم الخدمات الصحية. فالدين ليس فقط عبادات أو هويات، بل معايير وقيم ومنها سياسات الأمل التي تمنحنا أفكاراً للتعاون بين المجتمعات الدينية، وبينها وبين الحكومات والوكالات الدولية، بما يسهم في تجاوز الخوف وغياب الثقة وهي أمور مهمة في مواجهة انتشار «كورونا»، تخلص براون. إنّ البشرية اليوم بحاجة إلى التواضع، والمؤسسات العلمية والمؤسسات الدينية كلها بحاجة إلى التواضع أيضاً، ويمكن للكثير من هذه المؤسسات أن تتبادل الاعتراف وتتعاون في عالم من الواضح أنه مقبل لأن يكون أكثر رعباً.

* أستاذ جامعي

> **يمكن للمؤسسات الدينية ان تنجح في تقديم نموذج تشاركي مع المؤسسات العلمية بمساهمتها في تشجيع التفكير العقلاني وتحفيز المؤمنين للالتزام بالتدابير والتخفيف من آثار الوباء الاجتماعية والنفسية**

التاريخ السياسيّ للأوبئة في مصر

عبدالله السناوي*

لا توجد تجربة معاصرة في تاريخ الأوبئة، التي مرّت على العالم وامتدّت بالعدوى إلى مصر، تقارب ما يحدث الآن تحت ضربات «كورونا» المستجد.

عندما أوشكت مدافع الحرب العالمية الأولى على أن تصمت عام 1918، بدأت تنتشر جائحة «الإنفلونزا الإسبانية».

لم تعبأ هذه الجائحة للعالم فرصة التقاط أنفاس ليلملم فيها أحزانه على ملايين الضحايا، فضربت بقسوة هائلة وأسقطت أكثر من الذين ماتوا في الحرب. وبأقلّ التقديرات تجاوزت الوفيات 50 مليوناً في أنحاء القارة الأوروبية.

وصل الوباء إلى مصر، حيث أصاب عشرات الآلاف، ولكن حدث نوع من التكتّم الإعلامي عليه. وبعد عام انتفضت مصر طلباً للاستقلال وجلاء قوات الاحتلال البريطاني، في ثورة 1919.

توارت «الإنفلونزا الإسبانية» بضرباتها المميتة في المشهد المصري، وحضرت نداءات حقّ تقرير المصير التي سادت العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. حينها، جرى التكتم على الجائحة بالرقابة الأوروبية المشدّدة. خشية التأثير على الروح المعنوية للمقاتلين في خنادق الحرب الذين لم يعودوا إلى ديارهم، كما جرى التكتم على تفاهمات وصفقات جرت أثناء الحرب، مثل اتفاقية «سايكس بيكو» (1916)، التي قسّمت العالم العربي. وكان إعلان وعد «بلفور» عام 1917، إنذاراً مبكراً بأثمان فادحة سوف تدفع في مصر وعالمها العربي، من إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على حساب شعبها والتنكيل به. بصورة أو بأخرى، تجاوزت الإنسانية جائحة «الإنفلونزا الإسبانية» فيما بقيت آثار الحرب العالمية الأولى غائرة على الجسد العربي حتى الآن.

في أعقاب الحرب العالمية الثانية، رُسمت خرائط وموازين قوى جديدة، انقسم العالم إلى معسكرين كبيرين متناقضين أيديولوجياً واقتصادياً وعسكرياً، أحدهما بقيادة الولايات المتحدة الأميركية والآخر بقيادة الاتحاد السوفياتي السابق.

عند ذروة الحرب العالمية الثانية انتشرت أوبئة، انتقلت هذه المرة إلى مصر، فجرى التكتم بالرقابة على بعضها، بينما لم يكن ممكناً التكتم على بعضها الآخر.

وفي عام 1942، ضرب وباء «الملاريا» صعيد مصر، كأنه إعصار يجتاح كلّ ما أمامه. كان ذلك بعد حادث 4 فبراير، الذي أُجبر فيه الملك فاروق بقوة الدبابات البريطانية، التي حاصرت قصره، على تعيين مصطفى النحاس، زعيم حزب «الوفد» صاحب الأغلبية الشعبية بلا منازع، رئيساً للحكومة مع اقتراب القوات الألمانية من العلمين عند ساحل مصر الشمالي.

في تلك الأجواء، جرى التكتّم بالرقابة العسكرية على نشر الفظائع التي تخلّفت بسبب ضربات «الملاريا»، وأعداد الموتى الذين سقطوا من دون علاج، فالحكومة لا تريد أن تبدو في وضع عجز والقصر الملكي يريد أن يكشف ما هي عليه من قلّة حيلة، أما سلطات الاحتلال فلا تريد لأحد أن يتكلّم في الجائحة. وذلك بتعبير الصحافي الشاب في ذلك الوقت محمد حسنين هيكل، الذي تابع المأساة الإنسانية من مركز الوباء، في أسيوط، ولم يتمكن من نشر غالبية تحقيقاته الميدانية بذريعة أنها تؤثر على الأوضاع في البلد كلّه.

لم يعد ذلك ممكناً، الآن، في عالم ثورة الاتصالات والمعلومات والأقمار الاصطناعية، حتى إنّ تطورات جائحة «كورونا» تُبثّ على الهواء مباشرة من مواقع المآسي الإنسانية.

بحسب بعض التقديرات للذين ماتوا بوباء «الملاريا» بين أواخر عام 1942 وبدايات عام 1943، فإنهم يتجاوزون الـ120 ألفاً، وهو رقم مخيف يكشف ضراوة الوباء، في مناطق شديدة الفقر والعوز وتعاني من التهميش والعزلة.

لم تكن هناك أدوية لوباء «الملاريا»، وأخذت البشرية وقتاً حتى توصّلت بالعلم إلى علاج ناجع يقال الآن إنه قد يصلح لمواجهة «كورونا» المستجد. كانت الإجراءات الاحترازية بالغة التشدّد، والبيوت التي يضربها الوباء توضع عليها من الخارج علامة «إكس» حمراء، ومن يموت يُدفن في مكانه.

ورغم اختلاف الأزمان والأماكن، فإنّ ما حدث في قريتين مصريتين في الدلتا من تجمّعات ترفض دفن موتى الـ«كورونا» في مقابر عائلاتهم، خشية الإصابة بالوباء، فيه استدعاء ما لشيء كامن في الذاكرة العامة، كأننا لم نتقدم خطوة واحدة في إدراك الحقائق العلمية والطبية.

يؤشر ذلك إلى أننا لا نعرف كفاية ما يدور في قاع المجتمع المصري، حقيقته وهواجسه، نقاط قوته وضعفه، ومدى انكشافه أمام أية أخطار متصوّرة. وإذا ما سألنا عن الطريقة التي انتشر بها وباء «الملاريا»، فإنّ الإجابة تكاد تقارب بتعبير الأستاذ هيكل، وهو يستعيد في آب / أغسطس 2005، تجاربه المهنية الأولى في تغطية الأوبئة، فإنّ «كل شيء يحتاج إلى مواصلات... البشر... والأفكار... وحتى الأمراض والجرائيم، مثل ناموسة الملاريا التي جاءت إلى مصر مع الإنكليز من الجنوب على قطار». «أتت ناموسة الملاريا على ظهر القطارات الذاهبة، والآتية لتحمل الإمدادات، حتى تواطنت في مزارع القصب في أرمنت وكوم أمبو».

لم يكن فيروس «كورونا» المستجد في حاجة إلى مثل هذه الرحلة الطويلة، فقد حملته الطائرات إلى كلّ أرجاء العالم من موطن نشأته في ووهان الصينية.

كانت «الملاريا» أولى ضربات أربعينيات القرن الماضي، تلتها بعام واحد 1943 جائحة «الحمى الراجعة»، أو الموجة الثانية من «الملاريا». ثم جاءت الضربة الثالثة بوباء «الكوليرا»، بين عامي 1945 و1947، الذي تمركز في قرية القرين على تخوم مدينتي فاقوس في محافظة الشرقية والتل الكبير في محافظة الإسماعيلية. بدت «الكوليرا» بموضع انتشارها، في تماس مع معسكرات الاحتلال البريطاني في الإسماعيلية والتل الكبير، والتي كانت قد اكتسبت وفق معاهدة عام 1936، الحقّ في إنشاء، مثل هذه المعسكرات في منطقة قناة السويس. في توقيت تال من الأربعينيات، نشأت حركات كفاح مسلّح شاركت فيها قوى وطنية عديدة ضد تلك المعسكرات. حينها، ضربت «الكوليرا» فلاحين مصريين ليست لهم أية حقوق اجتماعية وإنسانية في بلدهم، كما توالت ضربات الفدائيين ضد معسكرات الاحتلال على أمل أن يحيا شعبهم حراً وكريماً على نفسه.

بعدما ألغى النحاس معاهدة 1936، التي وقّعها بنفسه، تصاعدت عمليات الفدائيين، التي شارك فيها «الضباط الأحرار» تدريباً وتسليحاً، حتى وصلت ذروتها قبيل حريق القاهرة في 26 كانون الثاني / يناير 1952، وكان ذلك ذاعياً إضافياً لثورة «23 يوليو» من العام نفسه. هكذا تفشّى وباء «الكوليرا» في أجواء غضب تنذر بتحولات سياسية عميقة.

من مفارقات التواريخ أن الدفعة التي دخلت الكلية الحربية عام 1947، أُطلق عليها «دفعة الكوليرا»، وقد ضمّت على تباين توجهات وأدوار عناصرها، الرئيس الأسبق حسني مبارك والقطب الناصري السفير الراحل محمد وفاء حجازي وسامي شرف وزير رئاسة الجمهورية، ومدير مكتب جمال عبدالناصر.

حصدت الأوبئة الثلاثة ـ «الملاريا» و«الحمى الراجعة» و«الكوليرا» ـ حياة ما لا يقل عن 400 ألف مصري، وهو رقم مهول بالنظر إلى أعداد السكان في ذلك الوقت.

في العام التالي، 1948، نشبت حرب فلسطين، وكانت نقطة تحوّل جوهرية في التاريخ المصري والعربي الحديث كلّه، فقاتت تأثيراتها الإنسانية ضربات الوباء، وأعداد ضحاياه وصعبت نتائجها السياسية والعسكرية ما جرى بعدها، حتى الآن.

رغم أحجام الخسائر الإنسانية الفادحة من ضربات أوبئة الأربعينيات، فإنها لا تُقارن بأحجام الخسائر التي لحقت بمصر وعالمها العربي، من وباء العنصرية الصهيونية وما الحقته بها من عرقلة لأية فرصة تقدّم تستحقّه.

أمام جائحة «كورونا»، فإن هناك حقائق جديدة تتبدّى في الأفق، من دون أن تستبين ملامحها كاملةً، وعالماً جديداً يوشك أن يعلن عن نفسه. والتغييرات المتوقّعة في بنية النظام العالمي ستنعكس بالضرورة علينا هنا في مصر.

لا شيء سوف يحدث بين يوم وليلة، فقد استغرقت نتائج الحرب العالمية الثانية أكثر من عشر سنوات، حتى تبدّت حقائقها ومعادلاتها وموازين القوى التي تحكمها، وتحدّدت قواعد الاشتباك في النظام العالمي الجديد.

شيء من ذلك سوف يحدث، بتأثير مباشر من الصراع المحتدم مع «كورونا» المستجد، فالوباء هذه المرة في واجهة التغيير لا في خلفيته الاجتماعية والسياسية.

إذا لم نستخلص مبكّراً الدروس الحقيقية، ننظر في المرآة ونصوّب الأخطاء، نخفّض الاحتقانات السياسية والاجتماعية بقدر ما هو ممكن، نُعلي من شأن التعليم والصحة ونُقلّم أظفار الرأسماليات المتوحّشة، فسوف نتلقّى ضربات غير محتملة في عالم ما بعد «كورونا».

* كاتب وصحافي مصري

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ الصدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كوتشكوفر ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 01/666314 ـ 15، 03/ 828381
■ الموقع الإلكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews، @AlakhbarNews، /alakhbarnews-paper

فلسطين

أصعب أزمة في تاريخ «الأونروا»: قادرون على تغطية شهرين... أو أقل

ألغت الوكالة رواتب المياومين لتحولها إلى مصاريف لتغطية مواجهة «كورونا» (أ ف ب)

غزة ـ **مادلين الحلبي**

من قبل أن تحلّ أزمة «كورونا» ضيفاً ثقيلاً على الفلسطينيين عموماً والغزيين خصوصاً، أعلنت إدارة «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» (الأونروا)، في قطاع غزة، أنها تستطيع تقديم «الخدمات الأساسية» حتى نهاية الشهر الجاري، لكنها قد تلجأ إلى «قرارات صعبة» أكثر من إجراءات سابقة اتخذتها، وشملت تجميد برنامج الطوارئ والمشاريع وحزمة تقليصات على صعيد الخدمات كان لغزة النصيب الأوفر منها، نظراً إلى حصتها الكبرى في الموازنة العامة. وبخلاف التقليصات المتواصلة في قطاعي التعليم والصحة، تقرر أخيراً تحويل رواتب المياومين في مناطق «الأونروا» كافة خاصة إلى مجالات «أكثر أهمية»، وتحديداً مواجهة الآثار الناجمة عن «كورونا»، في وقت تقول فيه الوكالة إن رواتب موظفيها المقدر عددهم بـ33 ألفاً متوافرة حتى نهاية أيار/مايو المقبل فقط. وفق المعلومات، وصل العجز المالي إلى مليار و65 مليون دولار من أصل مليار و400 مليون، هي إجمالي الموازنة العامة المقرة لـ2020، لتكون هذه الأزمة هي «الأصعب» على الوكالة الدولية منذ إنشائها عام 1949.

يقول المتحدث باسم «الأونروا» في الشرق الأوسط، سامي مشعشع، لـ«الأخبار»، إنه لم يصل سوى «ربع المبلغ المرصود للميزانية رغم

> **بلغ العجز هذه السنة مليارا و65 مليون دولار من أصل 1,4 مليار**

اقترابنا من منتصف العام». لكن مدير العمليات في غزة، ماتياس شمالي، ذكر أن الدول المانحة تعهدت بتقديم 400 مليون ستغطي المصروفات كافة حتى نهاية الشهر المقبل فقط. وأول من أمس، عُقد لقاء ثلاثي جمع المفوض العام لـ«الأونروا»، السويسري فيليب لازاريني، ووزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي، ووزيرة خارجية السويد آن ليند، لبحث الأزمة الكبيرة. والأردن والسويد تلعبان دوراً محورياً في حشد الموارد المالية، إذ يوضح مشعشع أن اللقاء نتج عنه «تكثيف العمل لحشد الأموال، سواء في تغطية الميزانية السنوية المخصصة لتقديم الخدمات الأساسية والطارئة إلى أكثر من خمسة ملايين لاجئ، أو لمعالجة تداعيات تفشي كورونا في مناطق عملنا».

هذه الأزمة انعكست أيضاً على احتجاجات اللاجئين خارج فلسطين؛ فمثلاً على صعيد الفلسطينيين في سوريا، توفر «الأونروا» حالياً 20% من احتياجاتهم فقط، أي بمعدل دولارين يومياً للعائلة الواحدة. أما في لبنان، فتتلقى مصادر أنه وصل دعم جزئي يخص مكافحة الوباء قدره خمسة ملايين دولار للتوزيع النقدي، «لكن المبلغ مجمّد من جراء رفض الفصائل الفلسطينية انتقائية التوزيع، ولذلك يُنتظر الحصول على مليونين إضافيين لتغطية الجميع». وعامة تريد «الأونروا» 14 مليوناً بصورة عاجلة لمواجهة الوباء، فيما أقرّ مشعشع باضطرارهم إلى إعادة تدوير بعض الميزانيات، لأن الدعم المقدم من أجل «كورونا» حتى الآن نسبته 50% من المطلوب. وقد يكون هذا هو السبب في غياب أي إجراءات في المخيمات المكتظة في عدد من مناطق عمل الوكالة، لكن مشعشع تحدث عن «استجابة من الدول في تقديم مساعداتها لمنع تفشي كورونا في المخيمات».

وبدأت الأزمة المالية منذ تنفيذ السياسات الأميركية قبل نحو ثلاث سنوات، التي توّجت بقطع الدعم المقدر بثلث الموازنة، والتحريض على منع الدول المانحة من التبرع، في توافق تام مع الموقف الإسرائيلي الداعي إلى تفكيك الوكالة، وإلغاء حقّ العودة. لكنّ هناك أسباباً إدارية داخل «الأونروا» نفسها زادت الطين بلة، خاصة استقالة مفوضها العام الأسبق، بيير كرينبول، على خلفية شبهات فساد في الإدارة، ومن ثم التأخر في تعيين المفوض الجديد، لازاريني، الذي تمّ في التاسع عشر من الشهر الماضي، علماً بأنه خلال أشهر الفراغ، كان كريستيان ساوندرز قائماً بعمل المفوض العام.

يقول مشعشع: «لازاريني له تجربة مميزة في إدارة الأزمات، وإدارة مؤسسات بحجم وكالة الغوث... بطبيعة الحال سيواجه تحديات كسابقيه، خاصة في ظل الهجوم السياسي المركز والمنظم على الأونروا لوقف تمويل خدماتها». ويشير إلى أن الذرائع تتركز حول وقوف الوكالة عائقاً أمام حل قضايا الصراع مع الاحتلال، وأنها عززت الاتكالية لدى اللاجئين، وأن المناهج التي تدرّسها تحرّض على الكراهية، وأن عامليها لا يلتزمون الحيادية كما بقية العاملين في مؤسسات الأمم المتحدة الأخرى. علي هويدي، وهو مدير «الهيئة 302 للدفاع عن حقوق اللاجئين»، يستدرك بالقول إن «تعيين المفوض العام ونائبه من صلاحية الأمين العام للأمم المتحدة، وهو أمر يخضع لموازين القوى»، مضيفاً: «وفق مصدر في الأمم، ترشيح لازاريني حظي بقبول غالبية دوائر صنع القرار هناك، ويبدو أن الأخير أدرك حجم اللعبة وموقعه فيها، بعد اتهاماته الصريحة لإدارة الأميركية وإسرائيل بعملهما على وقف الوكالة».

وفيات

ابنتها: ليليان زوجة روي بدارو وعائلتهما
شقيقتها: رينيه صافي
حفيدها: أنطوان عاصي
زينة عاصي زوجة بول شديد (رئيس بلدية المطيلب)
وعائلات: كبابه، صافي، بدارو، نجيم، اسكندر، عاصي، شديد، وأنسباؤهم في الوطن والمهجر، ينعون إليكم بمزيد من الإيمان والرجاء فقيدتهم المأسوف عليها المرحومة
مارسيل صافي

أرملة أنطوان كبابه
الراقدة على رجاء القيامة يوم أمس الأربعاء الواقع فيه 15 نيسان 2020 مزوّدة بالأسرار المقدّسة.
يُحتفل بالصلاة لراحة نفسها الساعة 12 ظهر اليوم الخميس 16 الجاري في كنيسة القدّيس جاورجيوس للروم الكاثوليك، بكفيا/المحيدثة.
نظراً للظروف الراهنة يُرجى مرافقتنا بالصلاة من منازلكم
تعتذر العائلة عن تقبّل التعازي،
أبعد الله عنكم كلّ مكروه

إعلانات رسمية

اعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب كامل محمد هاشم بوكالته عن زيد علي عبدالله بوكالته عن حسن محمد اسماعيل بوكالته عن محمد حسن اسماعيل اسماعيل لموكلته خديجه عبدالله خليل سند بدل ضائع للعقار 709 شحور.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

.....

اعلان

من أمانة السجل العقاري في صيدا
طلب جرجس سليم عساف بوكالته عن جان شداد وكيل الياس شداد لمورثه مارون يوسف شداد شهادات قيد بدل ضائع للعقارات 210 – 183 – 184 و 1075 جزين.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

.....

اعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب ناصر سليم بزون بصفته مفوّض عن جمّال ترست بنك شهادة تامين بدل ضائع للعقار 1370 جويا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

مبوب

للبيع

أرض للبيع في الجية بمساحة 46000 م.م.
محلات تجارية مع مردود مالي مضمون للاتصال: 03/181813

مفقود

فقدت محفظة تعود للسيدة ديمة بهاء الدين رسلان في منطقة بيروت قرب مستشفى الجامعة الاميركية تحتوي على اوراق ثبوتية
(الاقامة اللبنانية - الهوية والجواز السفر السوري) الرجاء لمن يجدها الاتصال على الرقم 03/128832
وله مكافئة مجزية

سوريا

دورية مشتركة رابعة «مختصرة»: «كورونا» يدعم وقف إطلاق النار

للمرّة الرابعة على التوالي، تفشل الدورية المشتركة، الروسية ـ التركية، في قطع كامل المسافة المقرّرة على طريق «M4». بسبب تهديدات الفصائل المتزايدة، في مؤشّر على حجم تعثّر اتفاق موسكو الذي لم يحرز تقدّماً، سوى وقف إطلاق النار. ولعلّ انتشار وباء «كورونا» بات المثبّت الأول للاتفاق، إذ تسيطر حالة من الجمود على المشهد برمّته

هي الدورية الروسية ـ التركية المشتركة الرابعة على التوالي التي تفشل في قطع كامل المسافة المقرّرة على الطريق الدولي حلب ـ اللاذقية (M4)، بحسب ما ينصّ عليه اتفاق وقف إطلاق النار الموقّع في موسكو بين الرئيسين التركي رجب طيب إردوغان، والروسي فلاديمير بوتين، ورغم الجهود والمحاولات المتكرّرة، التي تخوضها أنقرة لإقناع الفصائل المسلّحة العاملة في إدلب بالسماح للدوريات بعبور كامل الطريق حتى حدود محافظة اللاذقية، فإن الدورية الرابعة لم تتمكّن من تجاوز نصف المسافة حتّى. إلا أن الجديد اليوم، ليس فقط تجمّع مدنيين ومسلّحين على الطريق بهدف منع الآليات الروسية والتركية من إكمال مسيرها، بل تجاوز الأمر ذلك الحد إلى درجة تهديد مسلّحي الفصائل المنتشرين على الطريق الجنوذ الأتراك بـ«قطع رؤوسهم على الطريق»!

ونقلت وكالة الإعلام الروسية، عن «مركز المصالحة» الروسي الخاص بسوريا، أن موسكو وأنقرة سيّرتا رابع دورية مشتركة في منطقة إدلب. وبحسب الوكالة، فإن الدورية غطت طريق «M4» السريع الذي يربط مدينتي حلب واللاذقية و«هي جزء من جهود البلدين الرامية الى دعم اتفاق وقف إطلاق النار في المنطقة». إلا أن تنسيقيات المسلّحين أكّدت أن الدورية المشتركة انطلقت من قرية الترتبة على بلدة النيرب في ريف إدلب الجنوبي الشرقي، وهي مسافة قصيرة جدّاً لا تصل إلى نصف المسافة المقرّرة. وفي هذا الإطار، نشر «المرصد السوري» فيديو يظهر مسلّحين يقفون بالقرب من الجنود الأتراك على الطريق الدولي (M4) من جهة بلدة النيرب في ريف إدلب الجنوبي الشرقي، حيث توجّه أحد المسلّحين إلى الجنود الأتراك بالقول بلهجة ساخرة: «نحن نحبّكم، وبإذن الله عز وجلّ سنضع رؤوسكم هنا على الطريق، ولن نأخذها معنا. لا تخافوا». ومن ثم تابع المسلّحون استهزاءهم بالجنود الأتراك عبر مصطلحات عسكرية متعارفة، بالإضافة إلى شتمهم باللغة التركية.

وأمس، حذّر الأمين العام لجامعة الدول العربية أحمد أبو الغيط، من تفشي وباء «كورونا» بين أكثر من 12 مليون لاجئ ونازح سوري. وطالب الأطراف الدولية بضرورة الحفاظ على الهدنة القائمة شمال سوريا بالاتفاق الروسي ـ التركي. وذكر بيان للجامعة أن أبو الغيط ناقش القضية مع المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى سوريا غير بيدرسون. بدورها، أعلنت الأمم المتحدة عن إرسال 38 شاحنة مساعدات إلى محافظة إدلب عن

> **هدّد مسلّحو الفصائل الجنود الأتراك بقطع رؤوسهم على الطريق الدولي**

طريق معبر «جيلوه غوزو» في ولاية هطاي جنوب تركيا، المقابل لمعبر باب الهوى السوري. كما نقلت منظّمة الصحة العالمية 20 طناً من الشحنات الطبية إلى مدينة القامشلي في ريف الحسكة الشمالي الشرقي، كجزء من الاستجابة لمواجهة انتشار «كورونا». وقالت المنظمة عبر حسابها المخصّص لسوريا على موقع «تويتر»: «إن الشحنة تحتوي أكثر من ثمانية آلاف من المستلزمات الطبية لمواجهة فيروس كورونا، كالحاضنات وأجهزة التنفس الاصطناعية ومعدات حماية شخصية أخرى».

اقتصرت الدورية على قطع مسافة قصيرة لا تتجاوز نصف المسافة المقررة بالاتفاق (الأناضول)

في غضون ذلك، انشقّت مجموعة تضمّ نحو 25 مسلحاً من «جيش العشائر ـ الجيش الحر» بقيادة مسؤول المجموعة، غنام سمير الخضير، الملقّب بـ«أبو حمزة عشائر»، برفقة آلياتهم والذخائر الخاصة بها من قاعدة التنف الواقعة تحت سيطرة القوات الأميركية في ريف حمص الجنوبي الشرقي، ثم توجّهت باتجاه مناطق سيطرة الجيش السوري، وذلك بحسب ما ذكره عضو المكتب الإعلامي لـ«جيش المغاوير ـ الجيش الحر» مامون الحميد، لتنسيقيات المسلّحين. يُذكر أن الخضير كان مسؤولاً سابقاً في «جيش المغاوير» في منطقة التنف، فيما «جيش العشائر» كان موجوداً في درعا قبل سيطرة الجيش السوري، وأعلن انحلاله في درعا، وعند وصوله إلى منطقة التنف عملت مجموعات من «جيش العشائر» على التنسيق مع «جيش المغاوير» لأخذ بعض المقرّات، وعملاً معاً تحت قيادة القوات الأميركية في التنف.

(الأخبار)

تقرير

سباق صيني ـ أوروبي على أفريقيا

لينا كنوش

على الرغم من المصاعب المرتبطة بمواجهة النتائج الاقتصادية للأزمة الصحية الراهنة، أعلن الاتحاد الأوروبي في 7 نيسان أنه سيقدّم دعماً مالياً بقيمة 15 مليار يورو إلى البلدان الأفريقية الأضعف. وكانت الصين قد سبقت الاتحاد بتقديم معدات وتجهيزات طبية كهبة للمساعدة على مقاومة جائحة «كورونا» في أفريقيا، وعرضت أيضاً مساعدة مالية مباشرة. الرئيس الصيني شي جين بينغ، وعد، في القمة الصينية ـ الأفريقية التي عُقدت في أيلول 2018 في بكين، بدعم مقداره 15 مليار دولار يتضمّن مساعدات مجّانية وقروضاً بلا فوائد. وإذا كانت المساعدات الطبّية والتقنية تمثّل جزءاً مهمّاً من التعاون الصيني ـ الأفريقي، يعتقد المراقبون أن الصين تفيد من الأزمة الصحّية والاقتصادية الحالية لتعزّز تموضعها الاستراتيجي في أفريقيا. ويرى هؤلاء، بناءً على الاستنتاج المذكور أن «السخاء الأوروبي» ناجم عن قرار بمواجهة توسّع النفوذ الصيني في القارّة السمراء. لكن الاقتصادي الفرنسي، ومدير الأبحاث في «معهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية»، جاك سابير، يعتقد أن الدافع الأول للمساعدات الأوروبية هو الاعتبارات الأمنية، لأن «المطلوب هو تجنّب انهيار أنظمة الخدمات الصحّية المحلية والاقتصادية المباشرة. الرئيس الصيني الذي سيتبعه نحو البلدان الأوروبية، بإمكاننا أيضاً إضافة الرغبة بالتصدي للنفوذ الصيني إلى الدوافع لكنه ليس الأول بينها».

أوروبا، التي أطلقت أخيراً استراتيجيتها الشاملة الهادفة إلى تطوير التعاون في جميع مجالات الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وأفريقيا والتي تتضمّن استثمارات طويلة الأمد تصل إلى 60 مليار يورو في بلدان القارّة، تسعى بوضوح للحد من جاذبية القوّة الناعمة الصينية. فالاستثمارات المالية الأوروبية الكبيرة في هذه البلدان، في الفترة السابقة، لم تحل دون خسارتها لمواقع كثيرة لمصلحة الصين. يكبن بين أوّل المستثمرين في البنى التحتية في أفريقيا، وهي تخلق فرص عمل على نطاق واسع. وكان تقرير «ماكينزي» لسنة 2017، وعنوانه «الوجود الاقتصادي الصيني في أفريقيا»، قد أشار إلى أن 10 آلاف شركة صينية تعمل في بلدانها ووفّرت حوالى 300 ألف فرصة عمل لمواطنيها، وأن 89 في المئة من موظفيها هم من الأفارقة. وزادت الصين من نفوذها الثقافي عبر إنشاء العديد من مراكز الدراسات وتقديم عشرات الآف المنح الدراسية إلى طلاب أفارقة.

> **جاك سابير: الموروث الاستعماري ما زال يحكم نظرة المسؤولين الأوروبيين إلى أفريقيا**

لاستثماراتهما. والثاني، هو الشراكة مع قوة ثالثة، روسيا على الأرجح. يفترض ذلك بداية تغيير موقف باريس وبرلين من موسكو». يعتبر الاقتصادي الفرنسي أن وزن الموروث الاستعماري التاريخي ما زال يحكم نظرة المسؤولين الأوروبيين إلى أفريقيا على رغم التغييرات الشديدة الأهمّية التي جرت في العقود الماضية. «جيل جديد يصل إلى مواقع القرار لا تشكّل التجربة الاستعمارية بالنسبة إليه سوى سردية من الماضي. هذا أمر شديد الإيجابية لكنه يستدعي إعادة النظر في جميع سياسات دعم التنمية»، حسب سابير. المساعدات الأوروبية لأفريقيا ما زالت دون المستوى المرجوّ أساساً، بسبب الفساد المستشري الذي يؤدي إلى اختلاس قسم كبير منها. إضافة إلى ذلك، فإن «إجراءات الاتحاد الأوروبي، الشديدة البيروقراطية، لا تسهّل توظيف المساعدات بالطريقة الأجدى. الأفضل، مثلاً، هو تخصيص الـ 60 ملياراً للاستثمار في قطاعات كالتعليم والمياه والصحّة والطاقة، لكن في العديد من الحالات لا يتم ذلك»، يقول سابير. ومع الانخفاض الحالي لأسعار غالبية المواد الأولية وتراجع الطلب العالمي نتيجة لتدهور معدّلات الإنتاج في زمن الجائحة، ستواجه أفريقيا بنظره تحدّيات جديدة، كالانتفاضات الشعبية والتوترات السياسية في الكثير من بلدانها. «هذه المعطيات لا تعني أن تداعيات الأزمة الراهنة على هذه البلدان ستكون مماثلة لتلك التي ستواجهها بلدان الشمال. الزراعات الأساسية لن تتأثر كثيراً، وقطاع المواد الأولية سيستعيد حيويته عندما يبدأ الاقتصاد العالمي بالتعافي. ستعاني الدول الأفريقية من مصاعب على مستوى ماليّتها العامة لأن المواد الأولية تمثّل بالنسبة إليها مصدراً مركزياً للدخل. سيتطلّب الأمر على الغالب، في نهاية هذه السنة وخلال عام 2021، مساعدة خاصة لضمان توازن ميزانيات بعض الدول الأفريقية»، يختم سابير.

استراحة

كلمات متقاطعة 3427

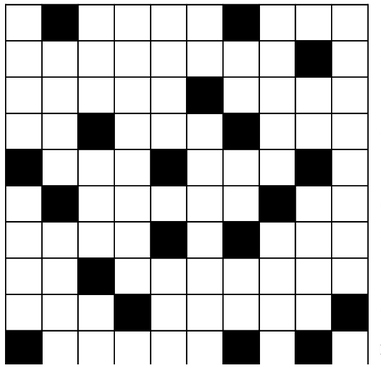

افقيا

1- من الحيوانات – صمت مطبق – 2- منتجع سياحي عالمي شهير في المكسيك – 3- أحد شعراء المثلث الأموي – المسؤولون عن حفظ الحاكم وحمايته – 4- خزانة قديمة في الحائط – عملة عربية – حرف نصب – 5- ضمير منفصل – مؤمن بخاف الله – 6- للتفسير – لحمة مسبّطلة في أعلى رأس الديك – 7- نُذل وشرف – طرح الملاكم خصمه على الأرض – 8- الفتيات العازبات – إسم موصول – 9- قصر ملوك سبأ في مأرب – حبوب تُستعمل مع القهوة – 10- عصارة ثمرة الخشخاش يستعمل للتخدير وتسكين الآلام

عمودياً

1- بركان مقدّس في اليابان يُعتبر أعلى قمة في البلاد – 2- أصغر نهر في العالم – خلاف يقف – 3- كلبة روسية خسرت حياتها في احدى الرحلات الفضائية – عائلة أديب ورسّام إسباني راحل – 4- رجع وعطف – ضمير متصل – تردّد صوت الرجل في صدره – 5- للندية – مدينة تحمل نفس الإسم في كل من إسبانيا وفنزويلا – 6- خلاف سهول – في الوجه – 7- أكبر مركز مالي عالمي في نيويورك – 8- يستخرج من البحر – سجّ الطائر – ضمير منفصل – 9- أداة من التوتيا مستديرة يُستقطر بها العرق وماء الزهر وماء الورد بلغة العامة – من الفاكهة –

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- سمير صفير – 2- وسيم – بلخ – 3- رار – سمسم – 4- اوكرانيا – 5- لب – هوندا – 6- غاملان – جبل – 7- زمّ – ين – لبيج – 8- لام – سويم – 9- هياتم – لا – 10- نهر الدامور

عمودياً

1- سور الغزلان – 2- اوياما – 3- بورك – مهر – 4- رش – رالي – يا – 5- صيدا – أنسال – 6- فم – نهرّ – ود – 7- سيو – ليما – 8- ريما نجيم – 9- لش – دبي – لو – 10- أحمد الجزار

sudoku 3427

		3	5	7	9			
9	6	1		2				
						4	2	9
5			2		3			
8	3					7	2	
			7		1			5
1	9	2						
				1		5	3	6
			8	4	7	2		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3426

6	1	7	5	8	4	3	2	9
2	9	5	3	7	6	1	8	4
3	8	4	9	1	2	6	5	7
5	7	8	4	6	9	2	3	1
4	2	1	8	3	5	7	9	6
9	6	3	1	2	7	8	4	5
1	5	2	6	4	8	9	7	3
7	3	9	2	5	1	4	6	8
8	4	6	7	9	3	5	1	2

مشاهير 3427

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مسرحي وممثل بريطاني (1887-1969). إشتهر بدور الوحش من خلال فيلم الرعب «فرانكنشتاين» الذي لعبه عام 1931. إسمه الحقيقي ويليام هنري برات
7+9+6+5+2 = 11+2 = خلاف الخسوف ■ 1+4+3 = 10+3 = عاصمتها ليما ■ 8+5 = حفر البئر

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: **سهام الشعشاع**

سينما

زمن الحجر المنزلي أتاح للمشاهدين العرب أينما كانوا، رؤية بعض أجمل الأفلام الروائية والوثائقية التي وقّعها أبناء تلك المنطقة، من دون أن يتسنّى لكثيرين الاطّلاع عليها. «آخر أيام المدينة» للمصري تامر السعيد، و«أبي ما زال شيوعياً» للبناني أحمد غصين، من بين هذه الإنتاجات التي تحاكي راهننا وتاريخنا بلغة سينمائية فريدة، بك نادرة!

إعداد **شفيق طبارة**

تامر السعيد «آخر أيام المدينة»... قبل الطوفان

«لإظهار تناقضات المدينة (...) وتزايد العنف (...) وتوثيق صمت أولئك الذين يرون مدنهم، وقد غزاها القمع والجهل والتطرف» هذا ما قاله تامر السعيد عن فيلمه «آخر أيام المدينة» (2016). عندما نقرأ هذه الكلمات، نرى طموح المخرج المصري في فيلمه. كلماته ليست سهلة. وتقديم هذه الأفكار بطريقة سينمائية، خصوصاً أننا نتكلم عن مدينة كبيرة مثل القاهرة لديها خصوصيتها، ليس بالأمر الهين. لكن تامر السعيد (1972) نجح في تحويل كلماته إلى الشاشة الكبيرة بلغة سينمائية فريدة ونادرة نوعاً ما في السينما العربية.

خلال مشاهدة الفيلم، ومع تتابع المشاهد، نجد أنفسنا أمام عمل يستحق كل دقيقة أنفقت عليه (استغرق تصوير الفيلم سنوات أو صوّر على سنوات عدة). يرصد العمل العلاقة «الجدلية» لا «الإشكالية» (سنعود لاحقاً إلى مسألة الجدلية والإشكالية في العلاقة مع المدينة) بين خالد (خالد عبد الله) ومدينته القاهرة. يحاول خالد أن يستعيد علاقته بها، عبر استرجاع أيامه السعيدة فيها من خلال صناعة فيلم لا يكتمل، ويبحث عن سكن لا يستطيع الحصول عليه.

تدور الأحداث في فترة زمنية دقيقة هي «آخر أيام المدينة». مدينة توشك على أن تعانق الحرية التي تتوق إليها (ثورة 25 يناير). تأخذنا كاميرا تامر إلى القاهرة المزدحمة التي يخنقها الضجيج، بهشاشتها ووجوه أهلها المتعبة مثلها. يأتي صوت المذياع لينقل لنا الصورة التي يروج لها الإعلام الرسمي الذي يبحث عن متنفّس للغضب الذي يحتقن ويعلو في الشارع على شكل تظاهرات واحتجاجات متفرقة هنا وهناك. يولي الشارع وجهه إلى مشكلات ومآسٍ المنتخب الوطني، فيحمل أعلام بلاده فقط ليحتفي بانتصارات لصالح انتصار رياضي. تبقى القاهرة وسكانها بين موجات التدين الظاهري، وتزييف السلطة للصورة؛ تنتقل الكاميرا مع خالد بين شوارع وسط البلد والمستشفى الذي ترقد فيه والدته، وأماكن طفولته لإيجاد مكان له في مدينته. يرصد الفيلم اللحظات السابقة للتمرد، ويتركنا لإكمال ما سيحدث للمدينة ولسكانها: فإمّا أن تبادله الحب أو تخذله مرة جديدة.

> قدم تامر السعيد فيلمه بطريقة جعلتنا غير مدركين تماماً ما إذا كان شريطاً تسجيلياً أم روائياً. من خلال هذه الطريقة، أثبت أن

تجتمع بيروت والقاهرة وبغداد في الفيلم على الهمّ نفسه

> فيلمه، والسينما بشكل عام، يمكن أن تكون تنبؤية، تجعلنا نرى أشياء لا يمكن أن نراها إلا عبر عدسته، عبر وضع طبقات الصور فوق بعضها، لنرى تفاصيلها الدقيقة. من خلال طريقة تقديمه للصور، أثبت السعيد أن «ثورة يناير» ليست فجائية (على الرغم من أن الفيلم ليس عن الثورة). وقد يقول العكس مَن لم يراقب بطريقة صحيحة ما يحدث.

لم يجعل المخرج القاهرة. لقطاته التسجيلية لم تكن إستيطيقية، لكنه دعانا إلى رؤية الجمال فيها. القاهرة جميلة في الفيلم من دون تزويق، مثل مشهد المرأة التي تسمع أم كلثوم وتدخّن على الشرفة. المرأة عجوز، جميلة مثل القاهرة، لكنها تبدو كهلة مثقلة بالضجيج والتراب ووجوه الناس الحزينة. لم يفرض تامر رؤيته علينا، بل شاركنا في الفيلم ومشاهده كي يوصل لنا ما يريد قوله كمشهد المصعد عندما يسمع خالد دعاء الركوب رغماً عنه، وكيف أن الناس يتأخرون عن موعدهم لأنهم يصلّون وليسوا على دراية أصلاً بالموعد المتفق عليه. نرى باعيننا هذا التدين الظاهري (المدّ الإخواني) البعيد عن أصول الدين. أما في المشهد الذي يسمع فيه خالد من أبلة فضية أنها لا تتذكر شيئاً عن والده، فلم يُرنا المخرج إحباطه، بل أحبطنا معه من دون أن يقول خالد إنّه محبط. وهنا تأتي مهارة المخرج في إشراك المشاهد في الفيلم، إذ لم نكن مجرد متفرجين.

قدم تامر السعيد تداخلاً بين القاهرة ومدينتَي بيروت وبغداد من خلال قصص ومشاهد أصحاب خالد مع مدنهم. بيّن لنا أن «العواصم» في منطقتنا تشبه بعضها، مهمومة، باختلاف مشاكلها. وهنا نعود إلى العلاقة الإشكالية والجدلية بين المواطنين ومدنهم. علاقة أصحاب خالد مع مدينتَي بيروت وبغداد إشكالية، لديهم مشاكل مع مدنهم، يكرهونها في لحظات، ويحبونها في لحظات أخرى وعلاقتهم بها غير واضحة تماماً. العلاقة الإشكالية هي كشيء ليس له جواب محدد، أو ربما له أكثر من إجابة ليس من بينها إجابة واضحة تُجمع عليها، مثل إشكالية من جاء أولاً البيضة أم الدجاجة. أما علاقة خالد (وإذا حرصت القول علاقة تامر السعيد، لأن الفيلم هو على شكل سيرة ذاتية)، فهي علاقة جدلية مع المدينة. علاقة بتأثير متبادل قد يكون عكسياً. علاقته بها كعلاقة المرأة الفلسطينية التي تزرع الزهور والخضار في فوارغ القنابل. القنابل التي تتسبب في موت من حولها، أحالتها هي أوانيَ زرع تنتج الحياة. خالد أو تامر يحبّ القاهرة، كعشيقة، لكنها تخونه وتخذله في كل مرة.

ثلاثون عاماً على تحفة ديفيد لينش
سحر «توين بيكس» الذي لا يزول

أجزاء العمل

«توين بيكس» الجزء الأول: ثماني حلقات (1990)

«توين بيكس» الجزء الثاني: اثنان وعشرون حلقة (1991)

Twin Peaks: Fire Walk With Me - فيلم - (1992) مهرجان كان)

Twin Peaks: The Missing Pieces - فيلم - (2014)

«توين بيكس» الجزء الثالث: ثماني عشرة حلقة (2017)

طائر يجلس على فرع شجرة ينظر إلينا. منشرة كبيرة ينبعث الدخان من مداخنها. آلة تشحذ منشاراً دائرياً. شلال تسقط مياهه على بحيرة كبيرة. لوحة إعلانية كعلامة ترحيب بقرية «توين بيكس» بعدد سكانها الـ51201 نسمة. بهذه المشاهد الافتتاحية، يتم تقديم جوهر القرية التي تحمل اسم المسلسل من تأليف ديفيد لينش ومارك فروست. كانطباع أول، يبدو أنه يوم عادي في مكان مثالي. جنة تحوطها الأشجار والجبال. هذه الافتتاحية هي انعكاس مزدوج: تصف هذه الصور افتراس الإنسان للطبيعة ويتم تقديمه بطريقة ملوّنة بموسيقى منومة لأنجلو بادلامينتي. إنها استعارة للحقيقة التي سيتم الكشف عنها بعد دقائق: تعرضت مراهقة تبلغ 17 عاماً للتعذيب والاغتصاب والطعن. يخترق المنشار الخشب كما اخترق سكين القاتل لحم لورا بالمر (شيريل لي).

ثلاثون عاماً مرّت على الحلقة الأولى من المسلسل التي طرحت السؤال الأشهر: «من قتل لورا بالمر؟». هكذا ولد «توين بيكس» سنة ديفيد لينش (1946) الغامض الذي كان حدثاً كبيراً في تاريخ الشاشة الصغيرة. في نيسان (أبريل) 1990، تم تقديم القصة التي ستغيّر الثقافة الشعبية بعمق، بمزيجها الفريد من الغموض والشخصيات المحببة، وبالأخص العميل كوبر (كايل مكلاكلن). يدين العصر الذهبي للتلفزيون، الذي نعيش مثله اليوم، بالكثير لهذا المسلسل الفخم الذي أثبت أن الشاشة الصغيرة يمكن أن يكون لها مكان محترم مثل دور السينما. بمزيج من الغموض والسوب أوبرا والإثارة والجريمة التي لم تفقد أياً من سحرها حتى يومنا هذا، قدّم لنا لينش واحداً من أهم المسلسلات التلفزيونية.

حتى أجمل القرى، حيث النادلات ودودات، وحيث تُخبز أشهى فطائر الكرز وأطيب قهوة، لها أسرار. أنقى جنات عدن يمكن أن تخفي أسوأ الكوابيس تحت قمم أشجارها. عندما تنتهي شارة البداية وتبقى الكاميرا موجهة على مدخل القرية؛ يتباطأ الوقت، ونشعر بأن شيئاً غريباً يحدث في الداخل. العالم أراد معرفة من قتل لورا بالمر، وتاه بكل سرور في وجوه الشخصيات وحياتها. يولّد المسلسل الحيرة والهلوسة، وهو ذو قدرة غريبة على توليد القشعريرة والضحك على حد سواء.

نجاح وسحر «توين بيكس» يقف وراءه واحد من أهم المخرجين السينمائيين والفنانين البصريين. استعمل ديفيد لينش في المسلسل لغته السينمائية التي لا مثيل لها. مزج سوريالية

> هيكلية المسلسل تشبه هيكلية فيلم «المواطن كين» لأورسن ويلز

رينيه مارغريتا بواقعية إدوارد هوبر والصورة الشعبية للحياة اليومية في أميركا الريفية، وبث فيها روحاً مظلمة تشير إلى أن شيئاً غريباً يحدث. هنا يوجد خيال هذياني، تأخذنا إليه شخصيات أيقونية، وتفتح المجال لمسار من الغموض لم ينته إلى الآن. مزج لينش في المسلسل الكثير من مهارته وثقافته السينمائية. أشكال شخصياته وعلاقتها في القصة، تعيدنا إلى كلاسيكيات هوليوود. على مدى أجزاء المسلسل، يمكن أن نلاحظ تأثير هذه الكلاسيكيات على لينش والعمل، لكن الأهم هو هيكلية المسلسل التي تشبه هيكلية فيلم «المواطن كين» (1941) لأورسن ويلز الذي استخدم الموت الغامض لاستكشاف سلسلة من الشخصيات والأحداث الغريبة. وأيضاً هناك تكوين الشخصيات التي تشبه شخصيات فيلم «متمرد بلا قضية» (1955) لنيكولاس راي، حيث ألهمت ناتالي وود وجيمس دين الشخصيات المراهقة والعلاقة بين دونا وجيمس في المسلسل.

لطالما حددت أفلام «النوار» الأسلوب التعبيري لأعمال لينش. وفي المسلسل أيضاً، استعمل بعضاً من هذه الأفلام، خصوصاً الأفلام التي تتعلق بالجنس مثل فيلم «سر ما خلف الباب» (1974) لفريتز لانغ، وأيضاً فيلم «لورا» (1944) لأوتو بريمينغر حيث يقع محقق في حب امرأة يحقق في مقتلها. لألفرد هيتشكوك وجود دائم في «توين بيكس» ولكن ليس أعماله التشويقية، بل الأفلام المخصصة لعلم النفس مثل «ظلال من الشك» (1943) و«المسحورة» (1945) الذي يمكن أن نراه في تفاعلات أحلام المحقق كوبر ولورا التي تحمل مفاتيح اللغز والرموز المشتركة. ونصل هنا مع هيتشكوك ولينش إلى فيلم «فيرتيغو» (1958) حيث الهويات المستبدلة، وهذا النسيج المرن للشخصيات الملفوف في ضباب رومانسي سام. السوريالية والتجريبية في أفلام لينش لها مكانة خاصة، لكن في المسلسل يمكن أن نلاحظ تأثر لينش برموز الأحلام والصور التي تأخذنا إلى الأفلام التجريبية لمايا ديرين، وبطبيعة الحال أفلام جان كوكتو خاصة الأسطورة اليونانية أورفيوس حيث سيتم اختبار المحقق كوبر للنزول إلى العالم السفلي.

لا يمكن الانتهاء من الكتابة عن لينش و«توين بيكس». سنحتاج لمقالات كثيرة وكبيرة لإيفاء المسلسل وإعطاء ديفيد لينش حقه. إلى الآن، لم يتم استيعاب سحر «توين بيكس» ولا يمكن لأحد من شاهد الحلقة الأولى أن يهرب من تأثير المسلسل. وبما أننا نحتفل اليوم بمرور ثلاثين عاماً على انطلاقته، فالأكيد أننا سنكتب في عيده الأربعين والخمسين والستين، ذاك أنّ سحر «توين بيكس» لم ولن يزول.

أحمد غصين قصّة عشق قديمة نابضة بالحياة

معظمنا لا يفكر أو يستغرق في التفكير في العلاقة الرومانسية لوالدينا. هذه العلاقة التي، إن تجرأنا وفكرنا فيها، نراها محرّمة. نبتعد عن الخصوصية والحميمية التي جمعت المرأة والرجل اللذين أنجبانا وربياننا. لماذا؟ ليس هناك جواب واضح وصريح. إنما لا يسعنا التفكير كثيراً فيها، ربما لأننا لا نراهما كعاشقين، بل كأهل عليهما مسؤوليات أكبر من أن يكونا عاشقين لهما حياتهما الحميمية الخاصة. المخرج اللبناني أحمد غصين في فيلمه «أبي ما زال شيوعياً» (2011)، لم يفكر فقط في هذه العلاقة، بل قدمها لنا. أدخلنا في هذه العلاقة الحميمة التي جمعت والدته بوالده. قص لنا حكاية خاصة جداً لعاشقين، تزوجا وأنجبا وعاشا الكثير من الأيام بعيداً عن بعضهما. تزوج رشيد غصين بمريم حمادة، وأنجبا جلال، ثم سافر إلى السعودية هرباً من الحرب والمشاكل الاقتصادية التي تعصف بالبلاد. خلال سنوات الغربة الطويلة، تواصلا من خلال أشرطة كاسيت كانا يرسلانها لبعضهما. منذ سنة 1978 ولمدة عشر سنوات، كانت هذه الأشرطة وسيلة التواصل بين العشيقين المتباعدين.

وخلال هذه المدة، زار رشيد لبنان لفترات قصيرة وأنجبا أحمد ونبيلة وكرم. فيلم «أبي ما زال شيوعياً» هو دعوة أحمد لنا للدخول في تفاصيل هذه العلاقة، وخصوصيتها من خلال مشاهد لقريته والبيت الذي لم ينتهِ إنشاؤه بعد، ومن خلال مريم وصوتها الذي يصدح عبر الراديو. نسمع ما كانت مريم تقوله لرشيد. نصغي إلى تفاصيل تطور العلاقة من العشق والشوق إلى التفاصيل الدنيوية ومنها إلى المتطلبات العائلية. من خلال ما نسمعه ونراه، نرسم تفاصيل هذه «الحدوتة» في مخيلتنا، المبنية على عشق وغرام، لكننا نكتشف عبرها الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية في البلاد.

ما يجعل شريطاً مثل «أبي ما زال شيوعياً»، ببساطته المرئية والسمعية، فيلماً مثيراً للاهتمام تماماً كقصة الحب التي قدمها؛ هي مهارة المخرج في لغته السينمائية. يعرف غصين تماماً العلاقة الحيوية بين الصورة والقصة التي يقدمها. ليس هناك فصل بين النمط المرئي والعناصر السردية. خلال الفيلم مثلاً، أعاد أحمد خلق أبيه ووضعه في الصور في اللحظات التي نسمعها تتكلم عن البيت والمصروف، نراقب ما ينقص في البيت، نرى الحجرة حيث تضع سريرها ونلاحظ جدران غرفتها التي لم يكتمل طلاؤها بعد.

من «أبي ما زال شيوعياً»

> ما بدأه في «أبي ما زال شيوعياً» أكمله في باكورته الطويلة «جدار الصوت»

جاذبية فيلم غصين تأتي من براعته في رواية القصة. هذه القدرة على حلّ التوتر واستعادة التوازن بطريقة منظمة. رغم أنها قصة قديمة، إلا أنها نابضة بالحياة، ملبثة بالانسجام والاتصال والمعنى، ومبنية على التفاعل بين الصورة والصوت والإيقاع. تمكّن غصين من تبيان المشاعر المتشابكة لوالدته في قصة تعتمد على الخصوصية بشكل كبير. لم يقيد هذه القصة بل أعطاها حريتها، كأنها مسار متفرع لا نهاية له في فضاء يربطنا جميعاً.

جريء غصين. قلّة من المخرجين تقدّم قصصاً خاصة عنها في أفلامها الأولى. غصين كان شخصياً جداً. من خلال سينماه الخاصة، عرف كيف تتصالح مع الماضي ومع والده ومع القصص التي خلقها في مخيلته لتبرير غيابه. ما بدأه في «أبي ما زال شيوعياً» أكمله في باكورته الطويلة «جدار الصوت» (2019). على الرغم من أنّ أفلامه محددة بتواريخ وأوقات، إلا أنها خارج الزمان والمكان. يكتب غصين تاريخه الخاص من خلال أفلامه، تماماً كما قال أحد شخوص فيلم «في مديح الحب» (2001) لجان لوك غودار: «من الغريب كيف تأخذ الأمور معنى عندما تنتهي القصة»، فترد عليه عشيقته «لأن هذا هو الوقت الذي يبدأ فيه التاريخ».

روابط لمشاهدة الأفلام متوافرة على موقعنا

وقفة

فيلم قصير بعد عام على رحيلها
أنييس فاردا تركت بذورها الصغيرة في ذاكرتنا

أرسلت غوين دغليز إلى السينماتيك الأميركية (منظمة غير ربحية مكرسة لتاريخ وثقافة الأفلام) فيلماً قصيراً (بعنوان «قصة غوين الصغيرة من بروتاني») من إخراج تأخذنا إلى الخارج، تمشي معنا هناك، غالباً على طريق البحر. أفلامها مزيج من الوثائقي والخيال. تبحث دائماً عن أشكال مختلطة جديدة «لجعل القارب يتأرجح برفق، من جانب إلى آخر» مثلما تقول. كفيلمها الأشهر «بلا سقف ولا قانون» (أسد البندقية 1985) حول الأيام الأخيرة لمنى، الفتاة العشرينية، بأداء رائع ومضطرب ومفعم لساندرين بونير، وبأسلوب سينمائي واضح غير مزخرف، ما يجعل الفيلم يبدو حقيقياً. كانت فاردا دائماً مهتمة بأشخاص مثل منى لا يستطيعون إلا أن يكونوا مختلفين، ويخرجون عن مجتمعهم الذي يتجاهلهم. «نحمل جميعاً مني معنا. كل منّا لديه بداخله امرأة تمشي بمفردها على الطريق. في جميع النساء، هناك ثائرة متمردة غير متوقعة» تقول فاردا.

طوال حياتها المهنية، عرفت مدى صعوبة العثور على المال لأفلامها التي تتعامل بجدية مع شخصياتها النسائية. لم تتمكن من تقديم فيلمها «كليو من الخامسة إلى السابعة» (1962) لو لم يكن «لديّ فتاة جميلة كشخصية رئيسية». يريد المشاهد أن يكون قادراً على الحلم في السينما، وتجاهل الواقع القاسي لبعض لوقت. ذلك ما حدد الاستراتيجية التي عملت بها فاردا كنسوية، «يجب بالتأكيد تغيير صورة المرأة. لكن علينا أيضاً أن نكون حريصين ألا نفعل ذلك بطريقة مملة، فلا نجذب أحداً لسماعنا».

إذا كانت أفلام فاردا تثير الإحساس بالغموض، فمن الضروري فهمها على أنها دعوة للاكتشاف. في عالمها، يتشابك هذان البعدان، ربما لأنّ هذه الألغاز تتطور في مناخ يشبه الأحلام. دائماً ما توجه فاردا نظراتنا إلى اللحظات التي تنهرب منها باستمرار، لأنها تظهر غالباً وجود فجوات في المشاعر الإنسانية. تصنع فاردا أفلامها كرؤى، وتؤلفها كملاحظات في سيمفونية من المشاعر والمشاهد والأشخاص والشواطئ. مشاهدة أفلام فاردا هي واحدة من تلك اللحظات السحرية، التي يمكن فيها توحيد مصادفات وأسرار الحياة والمواقف التي تشبه الشعر الغريب في الحياة اليومية.

حياة فاردا السينمائية الطويلة؛ لا تشكل دليلاً تعليمياً لجوهر حياتها، بل على العكس. لقد استعملت السينما والأشخاص والأماكن لتعكسهم كأفكار وإلهام نحملهم معنا في حياتنا. كانت لديها رغبة متواضعة في ترك بذورها الصغيرة في ذاكرتنا. كوداع دافئ؛ من دون ضجيج.

الأخبار
al-akhbar
الخميس 16 نيسان 2020 العدد 4029

صورة وخبر

انضمّت مجموعة من الفنانين في إندونيسيا إلى حملة واسعة تهدف إلى مكافحة انتشار فيروس كورونا. غير أنّ هؤلاء قرّروا مجابهة الوباء من خلال إبداعاتهم. هكذا، راحوا يزيّنون جدران مدينة ديبوك (غرب جافا) برسوم غرافيتي تحاكي الأزمة الصحية العالمية. (أديك بيري ــ أ ف ب)

إتخذت المحطة إجراءات لمحاصرة الأزمة

ماذا يحدث في كواليس «الجديد»؟

زكية الديراني

كما بات معروفاً، فإنّ القنوات اللبنانية تعيش أصعب أعوامها من الناحية المادية والإنتاجية، بعدما مُني ثالوث إنتاج البرامج والإعلانات، والدعم السياسي، الذي تعيش عليه بضربة قاصمة. الأزمة المالية اشتدّت مع التظاهرات التي انطلقت في الخريف الماضي، واستحكمت اليوم مع فيروس كورونا. ورغم أنّ المعاناة هي واحدة في هذه القنوات، إلّا أن «الجديد» تبدو في عين العاصفة. قبل أزمة كورونا بفترة وجيزة، اتّخذت المحطة إجراءات عدة لمحاصرة الأزمة، فبدأت بخفض معاشات موظفيها بنسبة 30 % ثم صرفت عدداً منهم. بعدها، منحت إجازات مفتوحة غير مدفوعة للموظفين. كل هذا ترافق مع إجراءات تقشّف واضحة على برامجها ونشرات الأخبار التي بدت باهتة من دون أيّ تفرّد في التقارير. إذ اقتصرت التقارير على مداخلات صوِّرت عبر «سكايب»، وذهب معظم المصورين في إجازة من عملهم. ويرى بعضهم أن الإجراءات العلنية التي اتّخذتها المحطة إثر أزمة كورونا، إنما تُخفي قرارات مالية ضمنية ستتضح معالمها قريباً. من هنا، تداول الوسط الإعلامي أخباراً عن تعاون إنتاجي بين قناتَي «الجديد» وlbci في محاولة للخروج من هذا النفق المظلم. في هذا السياق، تشير مصادر في المحطتَين لـ«الأخبار» إلى أنّ فكرة التعاون ليست جديدة، بل طُرحت في العامين الماضيين، وتحديداً خلال شهر رمضان. يومها، كان الاتّفاق بين المحطتين يقوم على التنسيق التام والتزامن في عرض مسلسلات واحدة على شاشتيهما. إلّا أنّه سرعان ما تمّ التراجع عن الفكرة، بحُكم عامل المنافسة بين القناتَين. وتلفت المصادر إلى أنّه لا تعاون حالياً بين الشاشتين لأسباب عدة، أولها غياب الإنتاجات عن كلّ القنوات بشكل عام، فبأيّ أعمال سيتم التعاون وسط خفض الميزانية بهذا الشكل؟ لا إنتاجات على الشاشات بسبب تراجع سوق الإعلانات بشكل كبير، إضافة إلى خفض الميزانية المحددة لكلّ برنامج وغياب التمويل السياسي. ويرى المطّلعون على الملف أنّ «الجديد» تمرّ بصعوبات أكثر من mtv وlbci، على اعتبار أنّ شاشة بيار الضاهر وميشال المرّ تدفعان نصف معاش للموظفين، بينما تدفع «الجديد» حالياً معاشات مقسّطة، مع خفضها من الأساس. ويرى بعضهم أنّ mtv قد تُدخل بعض المال إليها عبر البرامج السياسية التي تعرضها وتتعاون فيها مع المصارف. أما في lbci، فإنّ الضاهر وجد أنّ الحلّ الأمثل يكمن حالياً في تجميد البرمجة بشكل شبه كامل مقابل دفع نصف معاش للموظفين. في هذه المشهدية، تبقى «الجديد» التي تعيش تخبّطات كثيرة، وسط كلام عن تراجع أدائها وضياع برمجة رمضان التي لم تقرّرها لغاية اليوم.

منوعات

«دار كلمات»: هكذا تحبّبون الأطفال بالقراءة

حين تصبح القراءة عملية ممتعة، فإنّها تنعكس إيجاباً على صحّة الصغار النفسية، وتقوّي روابطهم الأسرية والعاطفية مع ذويهم، كما ترفع من مهارات الاتصال والتعبير، فضلاً عن تطوير شخصيّاتهم. وفي سبيل هذه الغاية في ظلّ الحجر المنزلي، وجّهت دار «كلمات»، المتخصّصة في نشر كتب الأطفال واليافعين باللغة العربية، مجموعة من النصائح والخطوات المفيدة التي يمكن اتّباعها. بدايةً، دعت الدار التابعة لـ «مجموعة كلمات» الأهل إلى تخصيص الوقت والمكان المناسبَيْن في البيت، بحيث يكون المكان مريحاً وهادئاً، ويحب الأطفال الجلوس فيه، بعيداً عن الإزعاج لتصبح القراءة طقساً يومياً. ونصحت الأهل بالتعرّف إلى محتوى القصة أو الكتاب قبل الجلوس مع صغارهم، مع الأخذ في الاعتبار طريقة قراءتها بأسلوب تمثيلي شيّق لجذب الأطفال وإمتاع حواسهم. ومن المفيد أيضاً الطلب من الأطفال اختيار الكتب بأنفسهم، إلى جانب مناقشة أغلفة الإصدارات معهم قبل البدء بقراءتها، والاستماع إلى تصوّرهم عن القصة وأحداثها. وأكدت الدار ضرورة مناقشة محتوى الكتاب مع الأطفال وأخذ آرائهم بمجريات وأحداث القصة وانطباعاتهم حولها، مع الحرص على جعلهم يرسمون بعد الانتهاء من القراءة، لما لذلك من أهمية في خلق مساحة للتعبير عن الذات واستخدام الألوان بشكل إبداعي. أما النصيحة الأخيرة، فكانت السماح للأطفال بأخذ دور الراوي، ما يشعرهم بالثقة والمسؤولية ويحفّز فيهم الكثير من القدرات والمواهب.

هادي زكاك: عودة إلى سينما الحرب

مع تمديد فترة الحجر المنزلي، يواصل هادي زكاك (الصورة) توفير مختارات من أعماله للمشاهدة مجاناً عبر الإنترنت أو اقتراح أخرى موجودة على الشبكة العنكبوتية. الفيلم الرابع الذي وقع عليه اختيار المخرج اللبناني هو وثائقي «سينما الحرب في لبنان» (2003 . إنتاج Productions O3). على مدى 33 دقيقة، يوثّق زكّاك هنا الأعمال الروائية والتسجيلية (إنتاج محلّي أو خارجي) التي تناولت الحرب الأهلية اللبنانية خلال مجرياتها، أو بعد إعلان وقف إطلاق النار، بين عامي 1974 و2003. ومن بين المخرجين والممثلين الذين ظهروا في العمل: برهان علوية، جان شمعون، جوزيف بو نصّار، إميل شاهين، رفعت طربيه، دارينا الجندي، كارمن لبّس، مجدي مشموشي وغيرهم.

المعهد الفرنسيّ: عروض تجمع المجد من أطرافه!

بعد افتتاحه «المكتبة الثقافية» مجاناً في نهاية شهر آذار (مارس) الماضي، التي تضمّ أعمالاً أدبية فرنسية وفرنكوفونية، إلى جانب المجلات المتخصّصة والأشرطة المصوّرة والموسيقى كمساهمة منه في إغناء ثقافة المحجورين ومساعدتهم على تخطّي الحجر المنزلي المفروض جراء كورونا، يستمر «المعهد الفرنسي» في لبنان، بأنشطته هذه المرة، عبر الشبكة العنكبوتية، إذ يقدّم هذا الشهر، مروحة ثقافية وفنية واسعة تشمل شرائح عمرية مختلفة. عروض متنوّعة يطرحها المعهد على موقعه الإلكتروني، وعلى منصاته الافتراضية، متيحاً مثلاً الفرصة للزائرين للاطّلاع على بعض ما يتضمّنه معرض Pompéi الذي كان يُفترض افتتاحه في آذار (مارس) الماضي. المعرض الافتراضي سيأخذنا في زيارة إلى مدينة «بومبي» الرومانية الأثرية. رحلة بالصور والفيديو، مصحوبة بتقنيات حديثة للتعرف إلى كنوز هذه المدينة العريقة وآثارها. إلى جانب المعرض، يطرح المعهد مجموعة أنشطة تبدأ بعرض 13 فيلماً من توقيع مخرجين شباب، كانت ستُعرض في مهرجان «شاشات الواقع»، إضافة إلى تخصيص الأطفال بمحترفات وعرض لأفلام التحريك. ومن الأنشطة أيضاً، عرض فرقة Artcena المتخصّصة في فنون السيرك عبر نشر فيديو يعود إلى عرض Rue et Cirque. كما، سيطرح المعهد مجموعة عروض لمسرح «الكوميدي فرانسيز» العائلية والترفيهية. كذلك تستمر دروس تعليم اللغة الفرنسية عبر النت وتقنيات التعلّم عن بعد.
institutfrancais-liban.com

رحلة افتراضية في مدينة بومبي